عبد المعين الملّوحي

دفاع عن أبي العلاء المعري

المقدمة

شغلني في المعري أمران

١- أولهما ماحاق به من ظلم حين زعم كثير من القدماء والمحدثين أنه كان ملحداً وليس بملحد.

وأقبلت على ديوانيه (سقط الزند) و(لزوم مالا يلزم) أقرؤهما مراراً، فإذا أنا امام انسان مؤمن كل الايمان، مسلم حق الاسلام. فأردت نفي التهمة عنه معتمداًعلى ماورد في ديوانه (سقط الزند) وعلى اللزوميات على الخصوص.

وثانيهما ما لحق به من إهمال شاعريته. فقد اشتغل كل من كتب عنه بحياته وفلسفته وإلحاده وذكائه، وقلَّ من تحدث عن روحه الشعرية وفنه، فاذا جاء المتأخرون وذكروا شيئا من شاعريته وجدت بعضهم يدَّعي أنه كان يلهو ويعبث عندما ينظم شعره، ووجدت آخر يرى أنه لايجد في شعره إلا الخلل والإسفاف، ولكننا نجد الى جانب هؤلاء من قدَّر شعره حق قدره ودفع عنه تهم من إتهمه.

هذان الامران اللذان شغلاني طوال صحبتي للمعري هما اللذان أعالجهما في هذا الكتاب. وقد قسمته قسمين:

القسم الاول وأبرز فيه المعري مؤمنًا مسلمًا. يدعو الى الله ويوحده ويؤمن بقدرته. ثم أورد الشواهد على ذلك من شعره.

القسم الثاني أتحدث فيه عن شاعرية المعري. فأذكر ما قاله القدماء -وإن كان قليلاً- عن شعره متتبعًا كتب التراث واحدًا بعد واحد، ثم أذكر ما قاله المحدثون عن شاعريته ممن أنصفه أو ظلمه، وأستعرض بعد ذلك تعاريف الشعر وخصائصه وأطبق هذه الخصائص على شعر أبي العلاء وأخلص الى أنه كان شاعراً في الدرجة الأولى وفيلسوفًااجتماعيا في الدرجة الثانية.

وهكذا أدّعي أني دافعت عن أبي العلاء المعري، وبرّأته من تهمتين، أولاهما أنه كان ملحدًا، وثانيتهما أنه كان فيلسوفًا ولم يكن شاعراً.

ولست أول من ادعى هذه الدعوى، ولا أول من دافع هذا الدفاع، فقد سبقني اليهما أستاذان جليلان، هما الاستاذ محمد سليم الجندي في كتابه (الجامع في أخبار أبي العلاء) في سوريا، والاستاذ عبدالوهاب النجار في مصر وغيرهما.

جاء في كتاب (في الميزان الجديد) للدكتور محمد مندور ما يلي: (١)
(بين يدي الآن رأي للأستاذ عبدالوهاب النجار يقرر فيه أن أبا العلاء "كان متين الدين، قوي اليقين، وأنه كان شديد الوطآة على منتحلي التقوى، المتظاهرين بالدين والتصوف، وأنه لم يقصد بالدين هزءًا ولا سخرية، وإنما هو شيء جر اليه الخيال الشعري وأملاه حب الإغراب في التصوير).

(١) يؤسفني أنني لم أجد رأي النجار في مصادره الأصلية فاكتفيت بما نقله مندور عنه.

أرجو، وقد كتبت هذا الكتاب بقسميه، أن أكون قد قمت بواجبي في الكشف عن حقيقة هذا الوجه المشرق في الشعر العربي، وهو وجه قَّل أن نجد له نظيراً في الآداب العالمية، روحًا إنسانية رفيعة، وعاطفة غيرية مشبوبة، ودعوة الى الخير والأعمال الصالحة ومساواة بين الناس على اختلاف مذاهبهم وأعراقهم ، وسلوكًا راقيًا وإيمانًا بالمثل العليا، وحسبي أن أذكر أنه القائل:

خلق الناس للبقاء فضلّت أمـةٌ يحسـبـونهم للنـفـاد

إنما ينقلون من دار أعما لٍ إلى دار شقوة او رشاد

تأكيداًعلى ما ورد في القسم الاول من الكتاب

وأنه القائل:

ولو اني حبيت الخلد فرداً لما احببت بالخلد انفرادا

فلا هطلت علي ولا بأرضي سحاب ليس تنتظم البلادا

دليلاً على ما ورد في القسم الثاني من هذا الكتاب.

والسلام عليك يا أبا العلاء .

دمشق ١٩٩٤

عبدالمعين الملوحي

القسم الاول

أبو العلاء مؤمن مسلم

قال ابو العلاء في مقدمته لديوانه (لزوم ما لا يلزم):

كان من سوالف الأقضية أني أنشأت أبنية أوراق، توخيت فيها صدق الكلمة ونزهتها عن الكذب والميط (الغلو)... فمنها ما هو تمجيد لله الذي شرف عن التمجيد ووضع المنن في كل جيد، وبعضها تذكير للناسين، وتنبيه لرقدة الغافين، وتحذير من الدنيا الكبرى... (لزوم ما لا يلزم ١ : ٣) ثم يقول: وقد كنت قلت في كلام قديم: إني رفضت الشعر... والغرض ما استجيز به الكذب، واستعين على نظامه بالشبهات فأما الكائن عظة للسامع، وايقاظاً للمتوسن (النائم) وأمراً بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جبلوا على الغش والمكر، فهو - إن شاء الله - مما يلتمس به الثواب (المصدر نفسه ١ : ٢٨) وهكذا يحدد ابو العلاء هدفه من نظم ديوانه: ١ - تمجيد الله... ٢- تذكير الناسين وتنبيه الغافلين... ٣- التحذير من الدنيا وآفاتها. كما يضع قواعد للشعر عامة ولشعره خاصة: ١ - صدق الكلمة. ٢- تنزيه الكلمة عن الكذب والغلو. ٣ - أن يكون ذا هدف أخلاقي من وعظ وارشاد وتحذير ٤ - التماس ثواب الله. والعجب أن هذا الديوان (لزوم ما لا يلزم) الذي جعله صاحبه تمجيداً لله ينقلب على عقبيه ليصبح شكاً في الله ودعوة إلى الالحاد. فلماذا؟ أغلب الظن أن أكثر الذين حكموا على أبي العلاء هذا الحكم الظالم القاسي لم يقرؤوا الديوان كله، وإنما قرؤوا أبياتاً متفرقة منه، ولو أنهم قرؤوه كله تبين لهم أمران اثنان:

١ - أولهما أن أبا العلاء مؤمن كل الايمان. ٢ - وثانيهما أن أبا العلاء مسلم

متعصب للإسلام فأين نجد هذا الايمان أولاً؟ وأين نجد ذلك الإسلام ثانياً؟

لقد قرأت اللزوميات أربع مرات أو أكثر وكنت كلما قرأته شعرت بالظلم الذي غمر أبا العلاء، وأردت أن أكشف عنه هذا الظلم الشنيع لأسباب: أولها: أني أكره كل ظلم ثانيها: أني استنكر تكفير الانسان إلا حين يقر على نفسه بالكفر، فقد يكون من يتهم الناس بالكفر أكثر ضلالاً ممن يتهمهم. ومن كفّر مسلماً فقد كفر، وأبو العلاء مؤمن ومسلم فلا يجوز لأحد أن يكفره. وثالثها: أني حريص على تبرئة هذا الشيخ الجليل من كل تهمة باطلة وإعادة وجهه المشرق إليه بعد أن كادت الافتراءات تطمس معالم هذا الوجه النبيل. ورابعها: أني أريد أن أنقذه من سجن رابع سجنه فيه المفترون، هذا السجن الرابع الذي لم يذكره في سجونه الثلاثة حين قال:

أراني في الثلاثة من سجوني
فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي
وكون النفس في الجسد الخبيث

(اللزوميات ١ . ١٦٠)

وهذا السجن هو سجن الإلحاد الذي ألقاه فيه المفترون بعد موت هذا الأعمى الذي ترك للناس دنياهم فلم يتركوا له دينه.

لقد جمعت خلال قراءتي للزوميات أبياتاً كثيرة تعد بالمئات تدل على ايمان أبي العلاء وإسلامه واعتقد أن مجرد ذكر هذه الأبيات يكفي للدلالة إذا قرأها القارىء في إخلاص وتجرد، ولكني مع ذلك عمدت إلى أمرين:

١ ـ تصنيف هذه الأبيات حسب موضوعاتها ٢ ـ تفسير بعضها تفسيراً موجزاً لأقربها إلى أفهام القراء.

الايمان في ديوان (سقط الزند)

نجد في ديوانه (سقط الزند) وهو في أكثره ديوان شباب المعري إشارتين اثنتين إلى إيمانه، أما الإشارة الأولى فقد وردت في رثاء والده عبد الله بن سليمان ويقول فيها:

فياليت شعري هل يخف وقارُه
إذاصار أخدُ في القيامة كالعهن؟

وهل يرد الحوض الروي مبادراً
مع الناس أم يأبى الزحام فيستاني؟

(سقط الزند "شرح التنوير" ٢٨٣) وجاء في شرح التنوير تفسير البيت الأول "عهدي به (بأبي) ثابت الحلم، رزين الوقار فليتني أعلم هل يخف حلمه إذا خفت الجبال الراسيات يوم القيامة أشار إلى قوله تعالى: وتكون الجبال كالعهن المنفوش" أي الصوف الذي نفش بالندف.. وجاء في شرح البيت الثاني: (وعهدي به، وهو عالي الهمة، طلق النفس، نزه عن الجشع والطماعية هل تسمح نفسه بورود حوض النبي صلى الله عليه وسلم المورود يوم القيامة مبادراً إليه مع الناس أم يكره الزحام ويسترفع عن مزاحمة غيره إياه، فيتأنى في الورد ويتأخر... وفي هذين البيـ ، يبدو أبو العلاء مؤمناً كل الإيمان بالبعث وبيوم القيامة وبحوض الرسول 'كريم. أما الإشارة الثانية الواضحة لإيمانه فوردت في رثائه للفقيه الحنفي، وهي القصيدة الدالية التي تكاد تكون رثاء للإنسانية جمعاء، ويقول فيها:

خلق الناس للبقاء فضلت
امة يحسبونهم للنفاد

إنما ينقلون من دار اعمال
إلى دار شقوة أو رشاد

ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم

فيها والعيش مثل السهاد

(سقط الزند: ٣٠٦)

وجاء في شرح التنوير للبيت الأول: "... إن الناس تفنى أجسادهم بالموت، فأما ما هو خاصة الإنسانية، وهي النفس الناطقة المطمئنة فإنها تبقى بعد مفارقة الجسد إما منعمة أو معذبة، هذا هو المذهب الحق... يقول إن الناس خلقوا للبقاء في الدار الآخرة دار الحياة والبقاء، ومن ظن أنهم خلقوا للفناء والنفاد فقد ضل.." وشرح البيت الثاني فقال: "..إن الموت هو تبديل الدار، والنقل من دار الابتلاء بالأعمال والتكاليف إلى دار السعادة وهي الجنة وإلى دار الشقاوة، وهي النار..." ويشرح البيت الثالث فيقول: "..الضجعة بعد الموت في البرزخ نوم يستريح فيها الجسم من كد لازم الحياة، والعيش بعد البعث مثل الانتباه من النوم" نرى في هذه الأبيات الثلاثة إيمان المعري بالبعث والآخرة والحساب والعقاب واضحاً كل الوضوح إذن فأبو العلاء في ديوانه "سقط الزند" مؤمن ومسلم، وكل الذين اتهموه بالكفر والإلحاد لم يعتمدوا على "سقط الزند" في تكفيره، بل اعتمدوا على "لزوم ما لا يلزم" مع أن سن الشباب هو سن الشك والريب، فكيف يؤمن أبو العلاء في شبابه إيماناً مطلقاً ثم يشك في مرحلة الكهولة والشيخوخة؟ والحق أن أبا العلاء زاد إيماناً في شيخوخته وفي ديوانه "اللزوميات" هذا الديوان الذي جعله كما ورد في مقدمته له "تمجيداً لله الذي شرف عن التمجيد.." فماذا نجد في هذا الديوان؟

الإيمان في ديوانه (لزوم ما لا يلزم)

نلاحظ عند قراءة (اللزوميات) أن أبياتها تنقسم قسمين: الابيات الظاهرة البينة في معانيها وأهدافها.

الأبيات المتشابهة الغامضة التي تدعو إلى التساؤل. والأبيات الظاهرة الأولى هي الأبيات الغالبة وتشمل أكثر الديوان، وتعد بالمئات والألوف. أما الأبيات المتشابهة فمعدودة جداً، لا تتجاوز العشرات.

والعجيب أن الأبيات المؤمنة الكثيرة لا يرويها الناس ولا ينقلونها، ولا يكادون يعرفونها، وأن الأبيات المتشابهة هي التي يتداولها الأدباء ويستشهدون بها وحدها في دراستهم تقريباً، ويحفظها الطلاب ويرددها الناس في مجالسهم، كلما مر ذكر أبي العلاء المعري فلماذا؟ يخيل إلي أن هذا الاختيار المريب يشير إلى أمور: ١ ـ تشويه الفكر الإسلامي العربي عمداً أو عن غير عمد. ٢ ـ الاساءة إلى المعري واتهامه بما ليس فيه إما حسداً له أو لنقص في دراسته وجهل به. ٣ ـ بعث الشك والريب في قلوب الناس، خاصة عندما يسمعون الأبيات المتشابهة وحدها، ثم لا يفهمونها حق الفهم، وإنما يكتفون بظاهرها. وهم عندما يسمعونها ويرددونها لا يطلعون ولا يعرفون شيئاً عما في ديوان اللزوميات من أبيات الإيمان والإسلام.

ولست أريد في هذه الكلمة أن أتعرض إلى الأبيات المشتبهة سلباً أو إيجاباً، ولكني سأكتفي بإيراد الأبيات المؤمنة، وأرجو أن أستطيع دراسة الابيات المتشابهة بعد عرض الأبيات المؤمنة في بحث خاص بعد هذا البحث.

قلت فيما سبق إني قرأت اللزوميات مرات وإني سجلت بعض أبياتها التي تدل على إيمان المعري وإسلامه دلالة واضحة ـ مع العلم أني لم أجمع كل هذه الأبيات، ثم قلت إني قمت بتصنيفها حسب موضوعاتها وبتفسير بعضها تفسيراً موجزاً.

وها هي ذي موضوعات هذه الشواهد:

١ ـ صفات الله عز وجل.

٢ ـ قدرة الله تعالى.

٣ ـ دعوة المعري إلى عبادة الله والإيمان به.

٤ ـ هل طبق المعري وصاياه للمسلمين على سلوكه

٥ ـ المعري يمدح الإسلام ويذم المنافقين واصحاب النحل. ويهجو المرتدين عن الإسلام.

تلك هي بعض الموضوعات الدينية على العموم، والإسلامية على الخصوص التي تدل على إيمان المعري وإسلامه.

١ ـ صفات الله تعالى عند المعري:

الواحد الأحد ـ الحق القادر ـ العادل ـ ملك الناس ـ الحكيم ـ الرحيم ـ الصمد ـ الأول ـ المبدىء ـ المعيد ـ الدائم ـ صاحب الملك ـ ليس له ند ولا شبه ولا نظير ـ الرزاق ـ الكريم ـ المولى ـ الرحمن ـ الغافر ـ المحسن مولى الموالي ـ المحمود ـ القديم ـ الموجد ـ المصدر ـ المعين ـ الخالق ـ الخلاق ـ المتعالي ـ المحسن ـ مولى الموالي ـ رب الأمم ـ القاهر ـ الأكبر ـ البارىء ـ الغفار ـ المستعان ـ اللطيف ـ الخبير ـ الباقي ـ المهيمن ـ العزيز ـ المعافي ـ منزل الغيث ـ الديان ـ عالم الغيب ـ ذو الكمال ـ رب الناس ـ رب العلاء ـ وتتكرر هذه الصفات مفردة أو مزدوجة في أكثر من مائة بيت من أبيات اللزوميات . هذه بعض الأسماء الحسنى التي أطلقها المعري على الله عز وجل في لزومياته، وكنت نويت أن أتبع كل صفة بما ورد منها في أبيات اللزوميات، ثم بدا لي أن أجمع الأبيات كلها في نسق واحد، وأترك للقارىء اكتشاف هذه الصفات. ولعل المعري لم يركز على صفة من صفات الله تعالى. كما ركز على صفة القادر ولهذا فقد خصصتها بالذكر.

٢ ـ أين تتجلى قدرة الله في اللزوميات :

يعرض المعري قدرة الله في مظاهر كثيرة في السماء والأرض والانسان والحيوان والجماد. عرضاً رائعاً، يدل على إيمانه بقدرة الله عز وجل إيماناً كاملاً وقد خص القدرة الإلهية بالتفصيل من بين صفات الله التي عرضنا بعضها في الفقرة السابقة. وإليك بعض مظاهر القدرة الالهية عند المعري:

١ ـ لا يخرج الإنسان من ملك الله في الارض وفي السماء.
٢ ـ تفرد الله بسلطانه وليس له فيه شريك.
٣ ـ قدرة الله تتجلى للناس ولا تخفى عنهم.
٤ ـ الله خلق السماء وما فيها من نجوم وسيرها في افلاكها.
٥ ـ كل الناس والأشياء عباد الله.
٦ ـ لا يستطيع أحد أن يرد قضاء الله.
٧ ـ الغنى والفقر بيد الله.
٨ ـ خلق الله الإنسان في أحسن تقويم
٩ ـ في يد الله الحياة والموت والنشور والأقدار
١٠ ـ الملك والمجد لله وليس لأحد معه ملك ولا مجد
١١ ـ الله عالم الغيب والشهادة.
١٢ ـ لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا ضار لمن حمى.
١٣ ـ البحر في قدرة الله نبعة ماء والفلك الأعظم فُلَيْك صغير.
١٤ ـ يثبت سلطان الله ويضمحل سلطان الملوك.
١٥ ـ الله يمهل ولا يهمل.
١٦ ـ صاغ الله الانسان بقدرته دون مثال.
١٧ ـ الفساد والكون شاهدان على قدرة الله.
١٨ ـ الله وحده يعلم الغيب ويحصي كل شيء عدداً وينصر المظلوم ويعاقب الظالم.
١٩ ـ الله قادر على حشر الأولين والآخرين.

هذه بعض مظاهر قدرة الله عز وجل، وهناك مظاهر أخرى لم نحصها لوفرتها وتداخلها. وأعتقد أن المعري أوشك في تفصيله لهذه القدرة الإلهية أن يكون رجل دين لا شاعراً فيلسوفاً.

٤ ـ دعوة المعري إلى عبادة الله وأداء فروضه وتجنب معاصيه:

إن بسط المعري بعض صفات الله عز وجل، وفصل مظاهر قدرته على الخصوص، أو على الصحيح خلال بسطه لهذه الصفات وعرضه لمظاهر القدرة الإلهية يتخذ المعري صفة الواعظ والمرشد الذي يدعو إلى عبادة الله ويلجأ إلى الترغيب حيناً وإلى الترهيب حيناً. ولا يترك الدعوة إلى التفكير في خلق الله، ونلاحظ أنه في كل هذه الدعوة الصادقة يحافظ على شاعريته ورهافة حسه ولا يغرقها في جفاف الأوامر وقسوة النواهي: فأين هي الدعوات إلى عبادة الله في اللزوميات؟ وما هي هذه العبادات التي يحض عليها المسلمين؟ يدعو المعري في لزومياته إلى:

١ ـ عبادة الله عبادة خالصة والايمان به إيماناً كاملاً وتنزيهه عن كل شريك.

٢ ـ إقامة الصلاة شفعاً ووتراً.

٣ ـ أداء الزكاة.

٤ ـ صوم رمضان

٥ ـ العفاف وهجر اللذات المحرمة وتجنب الخمر.

٦ ـ الثقة بالله وإخلاص العبادة له، والعمل الدائب في طاعته وذكره. على كل حال، ورجاء الله وحده.

٧ ـ اتباع شريعة الله والسير في نوره والتشمير في طاعته.

٨ ـ صنع الخير والبعد عن الشر لوجه الله لا طلباً لمنفعة ولا خوفاً من مضرة وترك الحسد والغل ومساوىء الأخلاق.

٩ ـ هجر الملحدين وأصحاب النحل وتطهير القلب من وساوس الشيطان.

١٠ ـ أداء حقوق الله والناس وتجنب ظلمهم والإساءة إليهم.

١١ ـ عدم القسم والحلف لا في صدق ولا في كذب..تلك بعض وصايا

المعري في (الزوميات) للمؤمنين فهل نجد وصية واحدة لا تتفق مع أركان الإيمان ونهج الإسلام؟ ومما يجدر ذكره أن المعري يكسو هذه الوصايا ثوباً شعرياً رائعاً في كثير من الاحيان، مما يحببها إلى النفوس ويجعلها قريبة منها راغبة فيها ولكن هل طبق المعري هذه الوصايا على نفسه؟ ذلك ما سنراه في الفصل التالي.

٤ ـ هل طبق المعري وصاياه للمسلمين في سلوكه؟

المعري من الشعراء القلائل الذين طبقوا أشعارهم على حياتهم وبنوا على عقائدهم سلوكهم. والمعري في سلوكه وفي شعره:

١ ـ مؤمن بالله، مؤمن بقدرته، مؤمن بأنه ليس له ند ولا شريك.

٢ ـ مؤمن بالبعث

٣ ـ يصوم

٤ ـ ويصلي.

٥ ـ ويؤدي حق الله عليه ويضيف في بيته عشرات الطلاب والمتعلمين.

٦ ـ يرجو الله ويخشاه ويقر أنه مذنب.

٧ ـ لا يؤذي أحداً من الناس، بل زاد فترك أذى الحيوان.

٨ ـ عفيف لم يرتكب فاحشة بل غالى فترك الزواج الحلال.

٩ ـ صادق الحديث، لم يشرب الخمر، بل أستطيع أن أعده العدو رقم (١) للخمر. ومع ذلك فقد كان غير راض عن نفسه، يؤذيه أن يمدحه الناس ويلقب نفسه أبا النزول لا أبا العلاء، ويدعي أنه منافق وليس بمنافق:

انافق في الحياة كفعل غيري

وكل الناس شانهم النفاق

(اللزوميات ١٠ . ١٠٨)

ويدعى أنه ينهب الناس كغيره، وهو الذي كان يعطي ولا يأخذ:

تناهبت العيش النفوس بغرة

فإن كنت تستطيع النهاب فناهب

اللزوميات ١ . ١٠٠)

وهو رغم ايمانه وسلوكه الديني والأخلاقي والاجتماعي الممتاز يبتهل إلى الله في خشوع، ويسأله أن يغفر ذنبه، وأن ينقله من الضيق إلى السعة، وأن يتجاوز عنه فيأمر به ذات اليمين إلى اليسر ، ويبرأ من لسانه إذا زل ولذع الناس ويذكر الله كثيراً ويعول عليه في كل حال، ويرى كل ما لاقاه في حياته من صعوبات سهلاً إذا ختم الله له بالغفران في آخرته، ويرجو الله وقد عرف ما قاساه من آلام الحياة الدنيا ألا يجعل حياته الأخرى أبأس حالتيه:

والله يرحمني إذا

أودعت أضيق ساحتيا

لا تجعلن حالي إذا

غُيِّبتُ ابأس حالتيا

(اللزوميات ٢ . ٣٦٥)

وهو رغم عماه وعزلته وسجونه الثلاثة يقر بنعم الله عليه ويعتبرها فضلاً من الله وإحساناً، ويحمده على أنه خلقه وأحياه وأطعمه:

والحمد لله الذي صاغني

أطعمني رزقي وأحياني

(اللزوميات ٢ . ٣٢٤)

٥ ـ المعري يمدح دين الإسلام ويذم الذين يشوهونه وينكر أصحاب النحل، ويهجو المرتدين.

يرى المعري:

١ ـ أن الإسلام شرع الله وأنه ثابتٌ لا ينسخ ولا يتبدل ويهتف في حرارة: فياله من شرع.

٢ ـ وأن الإسلام رغم ما أحاطت به من خطوب يبقى ديناً ليس له نظير.

٣ ـ وأن محمداً صلى الله عليه وسلم دعانا إلى خير الأمور وأعلاها، وليست الأعالي كالأسافل.

وإذا كنت قد أخرت إيراد الشواهد إلى ما بعد البحث فأنا مضطر إلى خرق هذا الموقف ذلك أني لم أملك نفسي عن تسجيل هذا الشاهد الرائع على إيمان المعري قبل اختتام البحث فرحاً به، قال أبو العلاء:

دعاكم الى خير الأمور محمد
وليس العوالي في القنا كالأسافل

هداكم الى تعظيم من خلق الضحى
وشهب الدجى من طالعات وآفل

والزمكم ما ليس يعجز حمله
أخا الضعف من فرض له ونوافل

وحث على تطهير جسم وملبس
وعاقب في قذف النساء الغوافل

وحرم خمراً خلت الباب شربها
من الطيش الباب النعام الجوافل

فصلى عليه الله ماذر شارق

ومافُتَّ مسكا ذكره في المحافل

٤ - يتبرأ المعري مراراً من أصحاب النحل وأهل الأهواء.

٥ - يحمل المعري على المافقين حملة شعواء مثل ذلك الذي يدعو الناس إلى هجر الخمر ويشرب الخمر، أو مثل ذلك الذي يتخذ الدين وسيلة للكسب أو الذي يجعل الصلاة شركاً للكيد والصيد..

٦ - يدعو المعري إلى رؤية الله في آثاره الخالدة ويعجب لمن يرى آثار الله في خلقه ثم لا يؤمن وللطبيب الذي يدرس تشريح الإنسان ثم يلحد بالخالق، ويعقد محاورة طريفة بينه وبين المنجم والطبيب حول الحياة الآخرة والبعث.

٧ - يريد المعري أن يرافق الصوم والصلاة والعبادة ترك الشر وطهارة الصدر ونقاء الضمير.

٨ - يهاجم المعري هجوماً قاسياً أحد المرتدين عن الإسلام. واسمه طارق - ويتهمه بأنه أصيب بطارق من الجنون، حين ترك الإسلام والقرآن وباع دين الهدى وهجر ضياء الحق ليلحق لمحة بارق في ظلام الليل.

٩ - ويرى أبو العلاء أن المسلمين، وهم طلاب هدى. لا يخضعون ولا يذلون، لأنه دينهم دين عز وكرامة ولا يطأطئون رؤوسهم لغير الله:

إذا خضعت أعناق رهط لكفرهم

فأعناق طلاب الهدى غير خضّعِ

(اللزوميات ٢ . ٨١)

الشواهد

تمهيد:

اتبعت فيما مضى من البحث الطريقة الاستقرائية فجمعت من (لزوم ما لا

يلزم) ما دلني على إيمان أبي العلاء، وإسلامه، ثم صنفت الشواهد التي جمعتها وأخرت نشرها لأن هذه الطريقة أولى من إيراد الشاهد أولاً والتعقيب عليه ثانياً، توقياً للتكرار.

وأظن أن كثيراً من الناس سيأخذهم العجب حين يطلعون على هذه الشواهد، لأنهم، أولاً لم يقرؤوا كل اللزوميات، ولأنهم ثانياً، كانوا يكتفون بترداد أبيات مشهورة تدعو إلى الشبهة والتساؤل وهي أبيات قليلة طالما رددها من تعرضوا لدراسة المعري دون سواها ـ ويا للأسف ـ ولأنهم، ثالثاً، لم يُكلفوا أنفسهم، لسبب أو آخر، عناء البحث والتحقيق في (لزوم ما لا يلزم) نفسه، ولو فعلوا ذلك لوصلوا ـ على ما أعتقد ـ إلى ما وصلت إليه من نتائج.

وإليكم هذه الشواهد كما صنفتها حسب موضوعاتها:

١ ـ صفات الله تعالى.

٢ ـ قدرة الله عز وجل

٣ ـ دعوة المعري إلى عبادة الله والإيمان به.

٤ ـ هل طبق المعري وصاياه للمسلمين على سلوكه؟

٥ ـ المعري يمدح الإسلام ويذم المنافقين وأصحاب النحل، ويهجو المرتدين عن الإسلام.

١ ـ صفات الله تعالى في اللزوميات:

وقد اكتفيت في إيراد الشواهد، بعدما ذكرت من تصنيفها بتفسير بعض الكلمات الصعبة فيها أو تفسير بعض الابيات التي وجدت فيها شيئاً من الغموض. ولم أعمد إلى كتابة الحواشي حتى لا أثقل على القارىء، بل أوردت التفسير مباشرة بعد الشاهد.

وأشير سلفاً إلى أن بعض هذه الشواهد لا تنحصر في موضوع واحد، وإنما تتداخل أحياناً لتشمل أكثر من موضوع.

١ - توحد فإن الله ربك واحد (١: ٤٥)

ولا ترغبن في عشرة الرؤساء

٢ - وهل يأبق الإنسان من حكم ربه (١: ٤٧)

فيخرج من أرض له وسماء

٣ - والله حق وابن آدم جاهل (١: ٧٤)

من شأنه التفريط والتكذيب

٤ - فربكم الله الذي خلق السهى (١: ٧٨)

وأبدى الثريا والسماكين والقلبا

٥ - إن عذاب الله قوماً لاجترامهمُ (١: ٨٧)

فما يريد لأهل العدل تعذيبا

٦ - فالله فرد قادر قبل أن (١: ٨٩)

تدعى لآدم صورة أو تحسبا

٧ - ضريبك في بني الدنيا كثير (١: ١٢٠)

وعزَّ الله ربك عن ضريب

٨ - أثبت لي خالقاً حكيماً (١: ١٤٩)

ولست من معشر نفاة

٩ - وخلقك من ربنا حكمة (١:١٦١)

لقد جل عن لعب أو عبث

١٠ - فذرهمُ ودنياهمُ فقد شغلوا (١: ١٩٨)

بها ويكفيك منها القادر الصمد

١١ - أبدِىء قلى أو أَعِذ جفاء (١: ٢٠٥)

فربك المبدىء المعيد

١٢ ـ مـولاك مـولاك الـذي مـالـه (١: ٢١٣)

نـد وخـاب الـكـافـر الجاحـد

١٣ ـ ولن عظموا كيوان عظمت واحداً (١: ٢٢٢)

يـكـون لـه كـيـوان أول سـاجـد

١٤ ـ أخاف من الله العقوبة آجلاً (١: ٢٣٠)

وأزعـم أن الأمـر في يـد واحـد

١٥ ـ محمودنا الله والمسعود خانفه (١: ٢٣١)

فعَدٌ عن ذكر محمود ومسعود

١٦ ـ بـوحـدانـية الـعـلام دِنًـا (١:٢٣٣)

فـذرني أقـطـع الأيـام وحـدي

١٧ ـ كل يسبح فافهم التسبيح في (١: ٢٣٤)

صوت الغراب وفي صياح الجدجد

١٨ ـ ولقد وجدت ولاء قوم سبة (١:٢٣٤)

فـاصرف ولاءك للقـديـم المـوجـد

١٩ ـ ولـكـنـه خـالـق الـعـالـمين (١: ٢٤١)

ذانـب أجـزانـهـم والجمـد

٢٠ ـ لا ملك للملك المنصور نعلمه (١: ٢٨٥)

وكل ملك على الرحمن مقصور

٢١ ـ ما قيل في عظم المليك وعزه (١: ٢٦٢)

فـالله أعـظـم في الـقـيـاس وأكـبر

٢٢ ـ كذب الذي سمى المُمَّلك قاهراً (١: ٢٦٥)

نـحـن الأذلّـة والمـلـيك الـقـاهـر

٢٣ - ويقول: داري، من يقول، واعبدي (١: ٢٦٨)

مَهْ، فالعبيد لربنا والدار

٢٤ - ما زال ربك ثابتاً في ملكه (١: ٢٧٢)

ينمى إليه للعباد جؤار

٢٥ - وبدانع الله القدير كثيرة (١: ٢٧٢)

فيخور فيها لبُّنا ويحار

٢٦ - والله أكبر، فالولاء له (١: ٢٧٢)

وكذا الولاء يحوزه الكُنَّرُ

٢٧ - فلك يدور بحكمة (١: ٢٨٠)

وله بلا ريب مدير

٢٨ - أما يرى الإنسان في نفسه (١: ٢٨١)

آيات رب كلها غُرُّ

في فمه عذب وفي عينه

ملح وفي مسمعه مر

٢٩ - والله أكبر لا يدنو القياس له (١: ٢٩٧)

ولا يجوز عليه كان أو صارا

٣٠ - وإذا الذنوب طمت فاخلص توبة (٢: ١٢٥)

لله يلف بفضله غفارها

٣١ - فلا تقوَّ بمجد لامرىء ابداً (١: ٣٥١)

إن كنت بالله، رب النَّيرات، تُقره

٣٢ - تبارك خالقنا في البلاد (١: ٣٥٥)

وما زال عنا بعلم خَمَره

٣٣ ـ والله حق من تدبر أمره (٢: ٦)

عـرف الـيقـين وآنـس الإعـجـازا

رجزت بتسبيح المليك حمامة (٦:٢)

بالشام توطن أو تحل حجازا

والطير مثل الإنس تعرف ربها (٦:٢)

وترى بها الشعراء والرجازا

٣٤ ـ ومهما يكن فالله ليس بزائل (١٦:٢)

ويجني الفتى من بعد ما هو غارس

٣٥ ـ لنا ربٌّ وليس له نظير (٢: ٣٨)

يُسيِّرُ أمره جبلا ويرسي

٣٦ ـ أسرر جميلك وافعل ما هممت به (٢: ٧٥)

إن المليك على الأسرار مطلع

٣٧ ـ الأرض لله ما استحيى الحلول بها (٩١:٢)

أن يدعوها وهم في الدار أضياف

٣٨ ـ فخف دعوة المظلوم، إن دعاءه (٢: ١٠٦)

ملم بنوري الحجاب وخارقُة

٣٩ ـ سبحان خالقنا، وطاء اغبر (٢: ١٠٨)

من تحتنا وله غطاء ازرقُ

٤٠ ـ له العز لم يشركه في الملك غيره (٢: ١٢٥)

فيا جهلَ إنسان يقول: لي الملكُ

٤١ ـ لخالقنا الحكم القديم، وكم فتى (٢: ١٢٥)

له خلق رحب وعيشته ضنك

٤٢ - والعيشُ اينٌ، وفي مثوى امرىء دعة (٢: ١٢٩)

والله فرد وشرب الموت مشترك

٤٣ - تسمت رجال بالملوك سفاهة (٢:١٣١)

ولا ملك إلا للذي خلق الملكا

٤٤ - فلو يرجى مع الشركاء خير (٢: ١٤٠)

لما كان الإله بلا شريكِ

٤٥ - ولن إلهي إله السماء (٢: ١٤٧)

ورب الوجود ورب النَبَك

٤٦ - إله الأنام ورب الغمام (٢: ١٤٧)

لنا الفقر دونك والملك لك

٤٧ - اتق الواحد المهيـ (٢: ١٦٦)

ـمن ، فانه أول

٤٨ - تعالى الله وهو أجل قدرا (٢: ١٩٦)

من الإخبار عنه بالتعالي

٤٩ - أرى زمنا تقادم غير فان (٢: ١٩٧)

فسبحان المهيمن ذي الكمال

٥٠ - نموت لأننا حلفاء نقص (٢: ١٩٨)

ويبقى من تفرد بالكمال

٥١ - يغني الذي ماله فناء (٢: ٢٣٢)

وذلك الواحد القديمُ

٥٢. - ما أكرم الله، عز من ملك (٢: ٢٧٠)

ورزقنا من دلائل الكرم

٥٣ ـ إذا مدحوا آدمياً مدحت (٢: ٢٧٩)

مولى الموالي ورب الأمخ

٥٤ ـ له سجد الشامخ المشمخر، (٢: ٢٧٩)

على ما بعرنينه من شمم

٥٥ ـ ونفوس تروم إرثاً وما الوارث (م) (٢: ٢٨٨)

إلا المهيمن الديان

٥٦ ـ تشابهت الأشياء طبعاً وصورة (٢: ٣٥٤)

وربك لم يسمع له بشبيهِ

٢ ـ قدرة الله عز وجل في اللزوميات

١ ـ انفرد الله بسلطانه (١: ٥٢)

فماله في كل حال كفاء

٢ ـ ما خفيت قدرته عنكمُ (١: ٥٢)

وهل لها عن ذي رشاد خفاء

٣ ـ للمليك المذكرات عبيد (١: ٤١)

وكذاك المؤنثات إماء

٤ ـ يقولون: صنع من كواكب سبعة (١: ٩٧)

وما هو إلا من زعيم الكواكبِ

٥ ـ إذا رفعت تلك المواكب قسطلاً (١: ٩٧)

فرافعه للعين مجري الكواكبِ

٦ ـ إذا قضى الله أمراً جاء مبتدراً (١: ١٠٨)

وكل ما أنت لاقيه بتسبيبِ

٧ ـ وقدرة الله حق ليس يعجزها (١: ١٤٩)

حشر لخلق ولا بعث لأموات

٨ ـ رب السماء ورب الشمس طالعة (١: ١٧٠)

وكلً ازهر في الظلماء خراج

٩ ـ سبحان من برا النجوم كانها (١: ١٧٤)

در طفا من فوق بحر مالنج

١٠ ـ ويجري قضاء مالكم عنه حاجز (١: ٢٢٢)

فالقوا إلى مولاكم بالقلائد

١١ ـ لم يحص أعداد رمل الأرض ساكنها (١: ٢٥٧)

وكل ذلك عند الله محصورُ

١٢٢ ـ ما قيل في عظم المليك وعزّه (١: ٢٦٢)

فالله أعظم في القياس وأكبرُ

١٣ ـ هذي الكواكب للمليك شواهد (١: ١٦٤)

منا الخفي لناظر والنّيرُ

١٤ ـ تقفون والفلك المحرك دائر (١: ٢٦٨)

وتقدرون فتضحك الأقدارُ

١٥ ـ أما يرى الإنسان في نفسه (١: ٢٨١)

آيات رب، كلها غُرُّ

١٦ ـ في فمه عذب، وفي عينه

ملح، وفي مسمعه مر

١٧ ـ يكر موتانا إلى الحشر إن (١: ٢٨١)

قال لهم بارنهم: كروا

١٨ ـ تعالى الذي صاغ النجوم بقدرة (١: ٢٨٨)

عن القول أضحى فاعل السوء مجبرا

١٩ ـ سبحان مولانا الذي صاغنا (١: ٣٠١)

ما ظهرت في عضة عكبرَه

٢٠ ـ والله ينشر أرواحاً بقدرته (١: ٣١٤)

ويبعث الغيث في أرواحه النشر

٢١ ـ بحكمة خالقي طئ ونشري (١: ٣٢٣)

وليس بمنعجز الخلاق حشري

٢٢ ـ ما زال ملك الله يظهر دانبا (١: ٣٣٧)

إذ آدم وبنوه في الإضمار

٢٣ ـ إن شاء من خلق السماء (١: ٣٥٢)

أعاشني فنهضت أغبز

٢٤ ـ صنعة عزت الأنام بلطف (٢: ٨)

وعزتها إلى القدير العوازي

٢٥ ـ تبارك ربُّ الناس ليس لما أبى (٢: ١٤)

مريد، ولا دون الذي شاء حابس

٢٦ ـ لو حاطنا الله لم نحفل بمرزية (٢: ٦٦)

وكيف يخشى رزايا الدهر من حاطا

٢٧ ـ فتبارك الله الذي هو قادر (٢: ٩٣)

تعيا وتقصر دونه الأوصافُ

٢٨ ـ هو الفلك الدوار أجراه ربه (٢: ١٢٥)

على ما ترى من قبل أن تجري الفُلْك

٢٩ ـ وكل ملك لك عبد وما (٢: ١٤٦)

يبقى له ملك فيدعى ملْيكْ

٣٠ ـ البحر في قدرته نغبةٌ

والفلك الأعظم فيها فُلَيكْ

٣١ ـ أما ترى الشهب في افلاكها انتقلت (٢: ١٩١)

بقدرة من مليك غير منتقل

٣٢ ـ ويثبت الله وسلطانه (٢: ٢١٤)

وكل أمر غيره يضمحل

٣٣ ـ لعمري لقدما صاغك الله قادراً (٢: ٢٥١)

بغير أب عند القياس ولا أمّ

٣٤ ـ فساد وكون حادثان كلاهما (٢: ٢٥٦)

شهيد بأن الخلق صنعٌ حكيم

٣٥ ـ له المالك قد بانت دلائلها (٢: ٢٦٢)

للمفكرين برايات وأعلام

٣٦ ـ محصي الجرائم. فعال العظائم، نصار (٢: ٢٦٣)

الهضائم، جاز غيرُ ظلام

٣٧ ـ بإذن الله ينفذ كل أمر (٢: ٢٦٧)

فنهنهْ فيضَ ادمعك السُجومِ

٣٨ ـ يحدثنا عما يكون منجم (٢: ٢٨)

ولم يدر إلا اللهُ ما هو كائنُ

٣٩ ـ ولست بمدرك امراً قريباً (٢: ٣٤٤)

إنا ما خالقي عني زواهُ

٤٠ ـ والله يقدر أن تدعى بحكمته (٢: ٣٤٧)

أواخر من برياه أو اليها

٤١ ـ سبحان من سخر نجم الدجى (٢: ٣٣٣)

والبدر في قدرته يسلكان

٤٢ ـ قد خبر الله عن ضميري (٢: ٣٦٢)

ما لم يكن عند خابريا

٣ ـ الدعوة إلى الإيمان بالله وعبادته في اللزوميات

١ ـ إذا قومنا لم يعبدوا الله وحده (١: ٣٣)

بنصح فإنا منهمُ برآء

٢ ـ إذا قيل لك: اخش الله (١: ٥٤)

مولاك فقل: آرا

٣ ـ ولم يحبني أحد نعمة (١: ٩٥)

ولكن مولى الموالي حبا

٤ ـ نصحتك فاعمل له دانباً

وإن جاء موت فقل: مرحبا

٥ ـ إداب لربك لا يلومك عاقل (١: ١١٣)

في سجن هذي النفس أو إدآبها

٦ ـ أدلج إلى رحمة الله التي بذلت (١: ١٦٣)

فما يسرك إلا في التقى دلج

٧ ـ خذوا في سبيل العقل تهدوا بهديه (١: ١٦٩)

ولا يرجون غيرَ المهيمن راج

٨ - ولا تطفنوا نور المليك فإنه (١: ١٦٩)

ممتع كل من حجى بسراج

٩ - فذرهم ودنياهم فقد شغلوا (١: ١٩٨)

بها ويكفيك منها الواحد الصمدُ

١٠ - صير عتادك تقوى الله تذخرها (١: ١٩٩)

فما ينجيك منه السابح العَتدُ

١١ - مولاك الذي ماله (١: ٢١٣)

ند وخاب الكافر الجاحذ

١٢ - فإن أبيت قبول النصح معتديا (١: ٢١٦)

فاصنع جميلا وراع الواحد الأحدا

١٣ - إذا كنت من فرط السفاه معطلاً (١: ٢٢٢)

فيا جاحد اشهد انني غير جاحدِ

١٤ - إن كان قلبك فيه خوف بارئه (١: ٢٢٦)

فلا تجاور حذار الله بالحسد

١٥ - كل يسبح فافهم التقديس في (١: ٢٣٤

صوت الغراب وفي صياح الجدجد

١٦ - ولقد وجدت ولاء قوم سبة (١: ٢٣٤)

فاصرف ولاءك للقديم الموجد

١٧ - أما المجاور فارعه وتوقه (١: ٢٣٥)

واستعف ربك للقديم الموجد

١٨ - اذكر إلهك إن هببت من الكرى (١: ٢٣٨)

وإذا هممت لهجعة ورقاد

١٩ ـ واحذر مجينك في الحساب بزانف (١: ٢٣٨)

فـــالله ربـــك أنـــقـــد الـــنـــقـــاد

٢٠ ـ خـل الـسرور لمـن يـغـرُّ بـه (١: ٢٤٣)

واعـــبـــد إلهك واحـــداً فـــذا

٢١ ـ نبنتم الأديان من خلفكم (١: ٢٤٣)

ولـيس في الحكـمـة ان تـنـبـذا

٢٢ ـ أصول قد بنين على فساد (١: ٢٦٢)

وتـــقـــوى الله ســـوق لا تـــبـــور

٢٣ ـ كن عابداً لله دون عبيده (١: ٢٦٣)

فـالـشرع يـعـبـد والـقـياس يحرر

٢٤ ـ قد ضن من رزق الغنى بزكاته (١: ٢٦٦)

وغـدا فـلا فـلـح ولا تـعـشـار

٢٥ ـ إذا آمن الإنسان بالله فليكن (١: ٢٨٥)

لـبيبا ولا يخلط بإيمانه كفرا

٢٦ ـ إذا دنت لتجار الهند فاندة (١: ٢٩٣)

فاجعل مع الله في دنياك متّجرا

٢٧ ـ الدين هجر الفتى اللذات عن يسر (١: ٢٩٥)

في صحة واقتدار منه ما عمرا

٢٨ ـ وإذا الذنوب طمت فاخلص توبة (١: ٣٠٠)

لله يـلـف بـفـضـلـه غـفـارهـا

٢٩ ـ أيـلـحـد الـشـيخ ومـلـحـوده (١: ٣٠١)

قـــد آن للحـــافـــر أن يحفـــرة

٣٠ ـ فلا تنسوُوا الله الذي لو هديتم (١: ٣٠٨)

إلى رشدكم ما زال منكم على ذكر

٣١ ـ فسلِّم إلى الله المقادير راضياً (١: ٣١١)

ولا تسألن بالأمر غير خبير

٣٢ ـ فافعل الخير وأمِّل غبه (١: ٣٥٢)

فهو الذخر إذا الله حشرْ

٣٣ ـ أمر الخالق فاقبل ما أمر (١: ٣٥٣)

واشكر الله، إن العذب أمر

٣٤ ـ فَعُذْ بربك من وسواس مشبهة (٢: ٣٦)

خنساء ترميك من جن بخناس

٣٥ ـ أنسيت حق الله أم أهملته؟ (٢: ٤٣)

شر من الناسي هو المتناسي

٣٦ ـ فلا تتركن ورعاً في الحياة (٢: ٦٢)

وادَّ إلى ربك المفترض

٣٧ ـ إذا كنت بالله المهيمن واثقاً (٢: ٧٠)

فسلم إليه الأمر في اللفظ واللحظِ

٣٨ ـ إذا أنت لم تحضر مع القوم مسجدا (٢: ٧١)

فصل إلى أن يقضى الجمعة الجمعُ

٣٩ ـ أسرر جميلك وافعل ما هممت به (٢: ٧٥)

إن المليك على الأسرار مطلع

٤٠ ـ لعمري لقد أوضعت في الغي برهة (٢: ٨١)

فمالك في ركب الهدى غير موضع

٤١ ـ مالي رأيتك لا تلم بمسجدِ (٢: ٨٤)

حتى كأنك في البلاغ السابع

٤٢ ـ سبح بواحدة ففيها بلغة (٢: ٨٤)

للمتقين، وكل بخمس أصابع

٤٣ ـ خاب الذي سار عن دنياه مرتحلا (٢: ٨٩)

وليس في كفه من دينه طرف

٤٤ ـ لا خير للمرء إلا خير آخرة (٢: ٨٩)

يبقى عليه، فذاك العز والشرف

٤٥ ـ إذا ما ألحدت أمم بجهل (٢: ٩٩)

فقاتلها بتوحيد السيوف

٤٦ ـ فاتق الله وحده (٢: ١٠٢)

وتحمل له الكلف

٤٧ ـ إذا كنت في دار الشقاء مصليا (٢: ١٠٤)

فإنك في دار السعادة سابق

٤٨ ـ فخف دعوة المظلوم إن دعاءه (٢: ١٠٦)

ملم بنوري الحجاب وخارقه

٤٩ ـ عليك بتقوى الله في كل مشهد (٢: ١١٣)

فلله ما أذكى نسيماً وما أبقى

٥٠ ـ فراقب الله إن السعد يتبعه (٢: ١١٦)

نحس، وإن لجمع الدهر تفريقا

٥١ ـ فسوف يجازيك رب السماء (٢: ١٢٤)

فشمر لأحكامه وانتطق

٥٢ - عليك بتقوى الله في كل حالة (٢: ١٢٦)

فإن الذي نص الركاب سيبرك

٥٣ - خذوا سيري فهن لكم صلاح (٢: ١٢٩)

وصلوا في حياتكم وزكوا

٥٤ - ومن يطهر بخوف الله مهجته (٢: ١٣١)

فذاك إنسان قوم يشبه الملكا

٥٥ - أم الكتاب إذا قومت محكمها (٢: ١٣٤)

وجدتها لأداء الفرض تكفيكا

٥٦ - أشراك ذنبك والمهمين غافر (٢: ١٤١)

ما كان من خطأ سوى الإشراك

٥٧ - ولا ترفع لغير الله (٢: ١٤٥)

في الحندس الحانك

٥٨ - فعفوا وصلوا واصمتوا عن تناظر (٢: ١٥١)

فكل أمير بالحوادث يعزل

٥٩ - تفكروا بالله واستيقظوا (٢: ١٦٣)

فإنها داهية ضنبل

٦٠ - اتق الواحد المهيمن (٢: ٦٦)

فالله

٦١ - وشغل فم يستغفر اللهَ ذنَبه (٢: ١٨٥) أول

أحق به من ذكر زينب او جمل

٦٢ - فلا تسأل المرء الغني عطاءه (٢: ١٨٩)

ورجِّ الغنى من ربك المتعالي

٦٣ ـ اعجل بتسبيح رب لا كفاء له (٢: ١٩١)

أو رتلنه ولا تجنح إلى رتل

٦٤ ـ وارقب إلهك في عسر وفي يسر (٢: ١٩٢)

واترك جدالك في بعث وإرسال

٦٥ ـ فأمّلوا الله وارجوا منه عاقبة (٢: ١٩٤)

فليس دنياكم أهلاً لآمال

٦٦ ـ والحق يثقل كل غاو ظالم (٢: ٢٠٢)

وأخو الديانة ما يحس بثقله

٦٧ ـ خسر الذي باع الخلود وعيشه (٢: ٢٠٤)

بنعيم ايام تعد قلائل

٦٨ ـ وقال له: صلِّ، داعي الهدى (٢: ٢١٦)

وقال له ملحد: لا تصلِّ

٦٩ ـ يغني الذي ما له فناء (٢: ٢٣٢)

وذلك الواحد القديم

٧٠ ـ رضا بقضاء ربك فهو حتم (٢: ٢٤٨)

ولا تظهر لحادثة وجوما

٧١ ـ برد التقيّ ولن تهلل نسجه (٢: ٢٤٩)

خير بعلم الله من بردَيكما

٧٢ ـ نصحتك لا تقدم على فعل سوأة (٢: ٢٥٦)

وخف من إله للزمان قديم

٧٣ ـ ليشغل بذكر الله عن كل شاغل (٢: ٢٥٦)

فذلك عند اللب خير كلام

٧٤ - ما دام غير الله من دانم (٢: ٢٧٠)

فاغضب على الأقدار أو سَلِمْ

٧٥ - سلي الله ربّك إحسانه (٢: ٢٧٤)

فإنك إن تنظري تالي

٧٦ - لا تقدم الدهر على مائم (٢: ٢٧٧)

واستغفر الواحد رب القدم

٧٧ - ما أحسن الأرض لو كانت بغير أذى (٢: ٢٨٤)

ونحن فيها لذكر الله سكان

٧٨ - يخبرونك عن رب العلى كذبا (٢: ٢٨٤)

وما درى بشؤون الله إنسان

٧٩ - إذا ما فعلت الخير فافعله خالصاً (٢: ٢٩٠)

لربك، وازجر عن مديحك ألسنا

٨٠ - فلا تسد للنفس الجميل وأسده (٢: ٢٩٠)

لربك، وانفض عن عيون توسنا

٨١ - فقض زكاة مالك غير آب (٢: ٢٩٦)

فكل جموع مالك ينفضنه

٨٢ - واعجز أهل هذي الأرض غاد (٢: ٢٩٦)

أبان العجز عن خمس فرضنه

٨٣ - وصم رمضان مختاراً مطيعاً (٢: ٢٩٦)

إذا الأقدام من قيظ رمضنه

٨٤ - واعتقدا في حال تقواكما (٢: ٣٣٣)

انكما بالله لا تشركان

٨٥ ـ لعمري، لخير الذخر في كل شدة (٢: ٣٣٥)

إلهك ترجو فضله والاه

٨٦ ـ والله حق وإن هاجت ظنونكم (٢: ٣٣٨)

وإن أوجب شيء أن تراعوه

٨٧ ـ لا تحلفن على صدق ولا كذب (٢: ٣٥٦)

فإن أبيت فعدَّ الحلف بالله

٨٨ ـ عطايا الناس ممسكة فحاول (٢: ٣٦٤)

ثواب مليكنا الجزل العطايا

٤ ـ إيمان المعري وسلوكه في اللزوميات

ماذا طبق من وصاياه للمسلمين؟

١ ـ أرانيك فليغفر لي الله زلتي (١: ٣٣)

بذاك، ودين العالمين رثاء

٢ ـ بعلم إلهي يوجد الضعف شيمتي (١: ٦٠)

فلست مطيقاً للغدو ولا المسرى

٣ ـ غبرت أسيراً في يديه ومن يكن (١: ٦٠)

له كرم تكرم بساحته الأسرى

٤ ـ وإني لأرجو منه يوم تجاوز (١: ٦٠)

فيأمر بي ذات اليمين إلى اليسرى

٥ ـ محل الجسم في الغبراء ضنك (١: ٧٢)

ولكن عفو خالقنا رحيب

٦ - وآمل عفو الله، والصدر جانش (١: ١٦٣)

إذا خلجتني للمنون الخوالج

٧ - عودي يخاف من الإحراق صاحبه (١: ٢٣٠)

إن قال ربي لأجساد البلى: عودي

٨ - وإخال نفسي حين تفقد شخصها (١: ٢٣٧)

تلقى الذي عملته قبل معاد

٩ - وإن سألوا ما مذهبي؟ فهو خشية (١: ٢٨٤)

من الله لا طوقاً أبُتُّ ولا جبرا

١٠ - إلى الخلاق أبرأ من لسان (١: ٢٩٨)

تعود أن يروع الناسَ أبرا

١٠ - إذا ما أعظمي كانت هباء (٢: ٨٤)

فإن الله لا يعيبه جمعي

١١ - نكرثني عقوبة من إلهي (١: ٣٤٩)

فاستطير الفؤاد للتنكير

١٢ - لحا الله قوماً إذا جنتهم (١: ٣٥٧)

بصدق الأحاديث قالوا: كفز

١٣ - ولكنني أستعين المليك (١: ٣٦٠)

وإن يأتني حادث أصطبز

١٤ - ودنياي ألقى بطول الهوان (١: ٣٦٠)

وهل هي إلا كجسر عُبز

١٥ - ألم ترني عرفت وعيد رب (٢: ٧)

أقل تكلمي وأطال ضمزي

١٦ ـ من لي باني وحيد لا يصاحبني (٢: ١٨)

حـي سـوى الله لاجـن ولا أَنَـسُ

١٧ ـ وأسـأل خـالـقي نسـاً برفـق (٢: ٢٤)

إذا لم يـبـق لي إلا الـنـسـيسُ

١٨ ـ فالحمد لله ما قارفت سينة (٢: ١٢٢)

وكيف لي من ضنى دين بإفراقِ

١٩ ـ أزول، وليس في الخلاق شك (٢: ١٢٩)

فـلا تـبـكـوا عـلي ولا تُـبـكُـوا

٢٠ ـ خذوا سَيري فهن لكم صلاح (٢: ١٢٩)

وصـلّـوا في خـيـاتـكـم وزكـوُا

٢١ ـ يرزقني الله الذي قام حكمه (٢: ١٦٨)

بـارزاقـنـا في ارضـه مـتـكـفـلا

٢٢ ـ برنت إلى الخلاق من أهل مذهب (٢: ١٨٤)

يـرون مـن الحق الإبـاحـة للأهـلِ

٢٣ ـ لـك أوقـاتي فـخـلـيـنـي (٢: ٢٠٧)

إذا قـمـت أصـلي

٢٤ ـ ودعـيـنـي سـاعـة فـيك (٢: ٢٠٧)

لـمـولاي الأجـل

٢٥ ـ نرجو من الله رحباً إثز ضَيقة (٢: ٢٦٢)

مـن الأمـور ونـوراً بـعـد إظـلام

٢٦ ـ أقضي الدهر من فطر وصوم (٢: ٢٦٦)

وآخـذ بـلـغـة يـومـاً بـيوم

٢٧ - وما كان المهيمن وهو عدل (٢: ٢٦٦)

ليقصر حيلتي ويطيل لومي

٢٨ - ليفعل الدهر ما يهم به (٢: ٣٠٣)

إن ظنوني بخالقي حسنة

٢٩ - إن غفر الله لي فلا اسف (٢: ٢٧٣)

على الذي فات من تنعمها

٣٠ - رب اكفني حسرة الندامة في العقبى (٢: ٢٧٣)

فإني محالف الندم

٣١ - إذا مدحوا آدميا مدحت (٢: ٢٧٣)

مولى الموالى ورب الأمم

٣٢ - وذاك الغني عن المادحين (٢: ٢٧٩)

ولكن لنفسي عقدت الذمم

٣٣ - له سجد الشامخ المشمخر (٢: ٢٨٠)

على ما بعرنينه من شمم

٣٤ - ومغفرة الله مرجوة (٢: ٢٨٠)

إذا حسبت أعظمى في الرمم

٣٥ - فيا ليتني هامد لا أقوم (٢: ٢٨٠)

إذا نهضوا ينفضون اللمم

٣٦ - واحياني الله القدير ملاوة (٢: ٣٠٧)

فهلا بخوف الله أقطع احياني

٣٧ ـ الحمد لله الذي صاغني (٢: ٣٢٤) ٢
أطعمني رزقي وأحياني

٣٨ ـ أعد أسنى الربح فعل التقى (٢: ٣٣٣)
فلا أكن رب من الخاسرين

٣٩ ـ وقد علم الله اعتقادي وأنني (٢: ٣٥٤)
أعوذ به من شر ما أنا فيه

٤٠ ـ لنا خفض المحلة والدنايا (٢: ٣٥٨)
ولله المكارم والعُلُوُّ

٤١ ـ وما أنا يائس من عفو ربي (٢: ٣٥٩)
على ما كان من عمد وسهوِ

٤٢ ـ قد خبر الله عن ضميري (٢: ٣٦٢)
ما لم يكن عند خابريا

٤٣ ـ والله يرحمني إنا (٢: ٣٦٥)
أودعتُ أضيقَ ساحتيًا

٤٤ ـ لا تجعلن حالي إنا (٢: ٣٦٥)
غيبت أبأسَ حالتًيا

٤٥ ـ وعن يميني وعنِ شمالي (١: ٢٠٥)
يصحبني حافظ قعيد

٤٦ ـ أنا ما حججتُ وكم تحج نوائب (١: ٢٦٦)
شخصي ويفقد عندها الإحصار

٥ ـ المعري في اللزوميات يمدح الإسلام ويذم الملحدين ويحمل على الفاسقين والمنافقين واصحاب النحل ويهجو المرتدين عن الإسلام:

١ ـ أفَملة الإسلام ينكر منكر (١: ١١٤)

وقضاء ربك صاغها وأتى بها

٢ ـ أحسن بهذا الشرع من ملة (١: ١٩٠)

يثبت لا ينسخ فيما نسخ

٣ ـ دعاكم إلى خير الأمور محمد (٢: ١٨٦)

وليس العوالي في القنا كالأسافل

٤ ـ حداكم على تعظيم من خلق الضحى

وشهب الدجى من طالعات وآفل

٥ ـ والزمكم ما ليس يعجز حمله

اخا الضعف من فرض له ونوافل

٦ ـ وحث على تطهير جسم وملبس

وعاقب في قذف النساء الغوافل

٧ ـ وحرم خمراً خلت الباب شربها

من الطيش الباب النعام الجوافل

٨ ـ فصلى عليه الله ما ذر شارق

وما فت مسكاً ذكره في المحافل

٩ ـ رويدك قد غررت وأنت حر (١: ٤٥)

بصاحب حيلة يعظ النساء

١٠ ـ يحرم فيكم الصهباء صبحا

ويشربها على عمد مساء

١١ ـ إذا رام كيداً بالصلاة مقيمها (١: ٦٣)

فتاركها عمداً إلى الله أقربُ

١٢ ـ إياك والخمر فهي خالبة (١: ٧٦)

غالبة، خاب ذلك الغَلَب

١٣ ـ الدين إنصافك الأقوام كلهمُ (١: ٨٢)

وأي دين لآبي الحق إن وجبا؟

١٤ ـ عجبي للطبيب يلحد في (١: ١٨٣)

الخالقِ من بعد درسه التشريحا

١٥ ـ ما الخير صوم يذوب الصائمون له (١: ٢٢٧)

ولا صلاة ولا صوف على الجسد

١٦ ـ وإنما هو ترك الشر مطرحاً

ونفضك الصدر من غل ومن حسد

١٧ ـ تعالى الذي صاغ النجوم بقدرة (١: ٢٨٨)

عن القول أضحى فاعل السوء مجبرا

١٨ ـ أتت جامع يوم العروبة جامعاً (١: ٢٨٩)

تقص على الشهاد بالمصر امرها

١٩ ـ فلو لم يهبوا ناصرين لصوتها

لخلت سماءِ الله تمطر جمرها

٢٠ ـ الدين هجر الفتى اللذات عن يسر (٢: ٧٢)

في صحة واقتدار منه ما عمدا

٢١ ـ فعذ بربك من وسواس مشبهة
خنساء ترميك من جن بخناس
٢٢ ـ أيما طارق أصابك يا طارق (٢: ٤٧)
حتى مسَّاك للغي ماسي
٢٣ ـ ألا هل أتى قبر الفقيرة طارقٌ (٢: ١١٨)
يخبرها بالغيب عن فعل طارق
٢٤ ـ تنصر من بعد الثلاثين حجة
وكم لاح شيب قبلها في المفارق
٢٥ ـ الحمد لله أضحى الناس في عجب (٢: ٦٧)
مستهترين بافراط وتفريط
٢٦ ـ إنا ما ألحدت أمم بجهل (٢: ٩٩)
فقاتلها بتوحيد السيوف
٢٧ ـ جاء القران وأمر الله أرسله (٢: ١١٤)
وكان ستر على الأديان فانخرقا
٢٨ ـ وما زال يخبى جاهداً نار قومه (٢: ١٢٠)
أبو لهب حتى مضى لحريق
٢٩ ـ برنت إلى الخلاق من أهل مذهب (٢: ١٨٤)
يرون من الحق الإباحة للأهل
٣٠ ـ قال المنجم والطبيب كلاهما: (٢: ٢٤٩)
لا تحشر الأجساد قلت: إليكما
٣١ ـ إن صح قولكما فلست بخاسر
أو صح قولي فالخسار عليكما

٣٢ ـ طهرت ثوبي للصلاة وقبله (٢: ٢٤٩)

طهر فأين الطهر من جسديكما

٣٣ ـ وذكرت ربي في الضمائر مؤنسا

خلدي بذاك فأوحشا خلديكما

٣٤ ـ برد التقي وإن تهلل نسجه

خير بعلم الله من برديكما

٣٥ ـ يحدثنا عما يكون منجم (٢: ٢٨١)

ولم يدر إلا الله ما هو كائن

٦ ـ شواهد متنوعة من اللزوميات

١ ـ كم وعظ الواعظون منا (١: ٣٦)

وقام في الأرض أنبياء

٢ ـ فانصرفوا، والبلاء باق (١: ٣٧)

ولم يزل داؤك العياء

٣ ـ أخشى عذاب الله، والله عادل؟ (١: ٩٦)

وقد عشت عيش المستضام المعذب

٤ ـ وشاهدٌ خالقي أن الصلاة له (١: ١٤٧)

أجلُّ عنديَّ من دري وياقوتي

٥ ـ سبحان ربك هل يبقى الرشاد له؟ (١: ١٦٧)

وهل يحس بما يلقى إذا خرجا

٦ ـ أما الحياة فما أرجو نوافلها (١: ١٧٠)

لكنني لا لهي خائف راجي

٧ - إلهنا الله ملك اول أحد (١: ٢٠٤) ٣
تطيعه من صنوف الناس آحاد

٨ - الملك لله لا تنفك في تعب (١: ٢٠٤)
حتى تزايل أرواح وأجساد

٩ - والملك لله والدنيا بها غيرٌ: (١: ٢٠٤)
خير وشر وإعدام وإيجاد

١٠ - ولجسمي إلى التراب هبوط (١: ٢١٣)
ولروحي إلى الهواء صعود

١١ - وأقصاني عن الرؤساء كوني (١: ٢١٨)
وكونُهمُ لخالقنا عبيدا

١٢ - وإنه صورني ولست بعالم (١: ٢٣٦)
لِم ذاك؟ سبحان القدير الواحد

١٣ - إن يصغروا أو يعظموا فبقدرة (١: ٢٧)
ولربنا الإعظام والاكبارُ

١٤ - وونى الرجال العاملون وما ونى (١: ٢٧٢)
فلك بخدمة ربنا دوار

١٥ - تعاليت ربُّ النجم هل هو عالم (١: ٣١٠)
بحالاته في مطلع ومَغار

١٦ - كيف الرباح وقد تالى ربنا (١: ٣٤٠)
بالعصر إن المرء حلف خسار

١٧ - لا ييأسن من الثواب مراقبٌ (١: ٣٤٤)
لله في الإيراد والإصدارِ

١٨ ـ فيرى بدانع انبات متحسساً (١: ٣٤٤)

أن الجزاء بـغـير هـذي الـدار

١٩ ـ تـعـالى الله أيـن مـلـوك لخم (٢: ٢٤)

لـقـد خمدوا فمـا لهمُ حـسـيس

٢٠ ـ أعـوذ بـربيَ مـن سـخـطـه (٢: ٦٩)

وتـفـريـط نـفـس وإفـراطـهـا

٢١ ـ رددت إلى مليك الخلق أمري (٢: ٩٢)

فلم أسأل: متى يقع الكسوف

٢٢ ـ قد يدرك الساعي لباريه رضا (٢: ١٣٠)

ورضـا الـبريـة غـايـة لا تـدرك

٢٣ ـ وكأنما الأخرى تيقظ نائم (٢: ٢٣٥)

وكـأنـمـا الأولى مـنـام يحلـم

٢٤ ـ والنفس هشَّت إلى آسٍ بطيبها (٢: ٣٤٩)

ولم تهش إلى رب يـعـافـيهـا

خاتمة البحث

هذا ما انتهيت إليه في عقيدة المعري بعد قراءة كتبه وخاصة ديوان "سقط الزند" و"لزوم ما لا يلزم" قراءات متعددة، وقد خرجت من هذه القراءة المتأنية إلى أن:

١ ـ المعري مؤمن

٢ ـ المعري مسلم

٣ ـ المعري يدافع عن الإسلام ويتبنى شعائره وأخلاقه ويراه بريئاً من أهواء أصحاب الأهواء ومن المنافقين.

ومع ذلك فأنا أعترف أني وجدت للمعري أبياتاً متشابهة تنقسم ثلاثة أقسام:

١ ـ القسم الأول يمكن تفسيره في سهولة ويسر وليس فيه شيء مما اتهمه به أعداؤه.

٢ ـ القسم الثاني يحتاج إلى شيء من التجاوز والتسامح. وهو يتضمن أبيات إنسان تعود أن يفكر وأن يطرح أسئلة يريد لها جواباً، ومن حق كل إنسان أن يجد رداً مقنعاً على تساؤلاته.

٣ ـ القسم الثالث صريح في الشك والريب، ولا يمكن أن يخلو من التهم والشبهات، ولعل المعري صاغـه في فترات فقد فيها السيطرة على نفسه ووعيه وترك عقله يسبح في بحر لجّي من الشطحات الفكرية التي تشبه مع الفارق البعيد ـ شطحات المتصوفين الروحية.

لقد عرف أبو العلاء في حياته اتهامات بعض الناس له فرد عليهم في كتابه "زجر النابح" وقد حقق القسم الأول من هذا الكتاب الأستاذ الدكتور أمجد الطرابلسي ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق، ولكن القسم الثاني من هذا الكتاب ما يزال ضائعاً حتى الآن، ولو وصل إلينا لاستطعنا معرفة رد المعري على الأبيات المتشابهة الباقية، ونرجو أن نجد القسم الثاني من هذا الكتاب لتتم براءة أبي العلاء.

ولكننا نلاحظ ـ ويا للأسف ـ أن هذه الأبيات المتشابهة القليلة وحدها هي التي تطغى على الأبيات المؤمنة والمسلمة الكثيرة في شعر المعري لسبب ما، لا أظنه في مصلحة المعري ولا في مصلحة الإسلام، والسؤال المر الذي نطرحه الآن: كيف تحول ديوان "لزوم ما لا يلزم" الذي نظمه المعري "لتمجيد الله" إلى وثيقة اتهامه في عقيدته؟ ولماذا؟

لقد اختلف القدماء في دين أبي العلاء فاتهمه بعض وبرأه بعض، ولعل متهميه كانوا أقرب إلى ظلمه والجور عليه وتحميل أبياته مالا تحتمل. ويكفي في نهاية هذه الكلمة أن أنقل حادثة وردت في معاهد التنصيص، وفي تاريخ الاسلام للذهبي وفي نزهة الجليس وفي أوج التحري وجاء فيها: نقل السلفي عن القاضي

ابي المهذب عبد المنعم بن أحمد السروجي: أنه سمع أخاه القاضي أبا الفتح يقول: "إنه دخل على أبي العلاء في المعرة ذات يوم في خلوة على غير علم منه، وكان يتردد إليه ويقرأ عليه فسمعه ينشد:

كم بودرت غادة كعابُ
وعمرت أمها العجوز
أحرزها الوالدان خوفاً
والقبر حرز لها حريز
يجوز أن تبطىء المنايا
والخلد في الدهر لا يجوز

ثم تأوه مرات وتلا قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود. وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد.﴾[1] ثم صاح وبكى بكاء شديداً، وطرح وجهه على الأرض زمانا، ثم رفع رأسه ومسح وجهه وقال: سبحان من تكلم بهذا في القدم. سبحان من هذا كلامه. قال: فصبرت ساعة ثم سلمت عليه فرد علي وقال: ـ متى أتيت؟ فقلت: الساعة. ثم قلت: يا سيدي أرى في وجهك أثر غيظ، فقال: ـ لا يا أبا الفتح، بل أنشدت شيئاً من كلام المخلوق، وتلوت شيئاً من كلام الخالق، فلحقني ما ترى. فتحققت صحة دينه، وقوة يقينه".

لقد صار المعري إلى ربه، وربه أعلم به، وهو الذي يعلم السرَّ وأخفى، وهو الآن في غنى عنا وعن رأينا، ولكني أردت أن أشارك في دفع الظلم عنه. وحسبي أن أردد هذا البيت مع شيء من التبديل:

صار المعريُّ الى ربه
يرحمنا الله وإياه

---

(١) سورة هود الآيات ١٠٣ و١٠٤ و١٠٥ .

القسم الثاني

شاعرية ابي العلاء

تمهيد

ما أكثر ما تحدث الناس عن أبي العلاء وما كتبوا عنه: تحدثوا كثيراً وكتبوا كثيراً عن حياته وعقيدته. كفَّره قوم، ودافع عنه قوم، ووقف قوم عن الهجوم وعن الدفاع معاً وتركوا أمره لله.

نظموا في مدحه ورثائه قصائد، ونظموا في ذمه وشتمه قصائد، وأبو العلاء، هذا الشيخ الجليل الأعمى، راقد في قبره، وعلى شفتيه بسمة عطف ورثاء:

لم يدركني من عاصروني،

فكيف يفهمني من يعيشون بعدي؟

الكتب التي ألفت، والأبحاث التي دبجت عن المعري كثيرة ولكن أكثر هذه الكتب والأبحاث تتناول عقيدة المعري وحياته وخصائصه وفلسفته، وقل أن تتطرق إلى البحث عن شاعريته وعاطفته وصوره وأسلوبه في شعره.

قرأت (سقط الزند) و(لزوم ما لا يلزم) مرات، وتكشف لي أبو العلاء عن شاعر من طراز رفيع، قبل أن يكون حكيماً وفيلسوفاً، بل إنه في حكمته وفلسفته كان شاعراً.

ثم أليس فلاسفة هذا العصر يرون مع (هيدجر) وأمثاله أن الفكر هو اللقاء بين الشعر والفلسفة، وأن الشعر والفكر واحد.

من أجل ذلك أردت في هذا البحث المفصل أن أكشف النقاب عن شاعرية أبي العلاء بعد أن شغلت حياة أبي العلاء وعقيدته الأدباء عن بحث شاعريته.

وسيدور هذا البحث في نطاق المحاور الآتية:

أ ـ شعر المعري في كتب المتقدمين الخاصة به.

ب ـ شعر المعري في كتب التراجم والكتب العامة التراثية.(١)

ج ـ شعر المعري في كتب المعاصرين الخاصة به.

د ـ شعر المعري في كتب التراجم والكتب العامة المعاصرة.

هـ ـ ما هو الشعر ؟ نظرة في تعريفه.

و ـ شاعرية أبي العلاء حسب عناصر الشعر:

ز ـ العاطفة.

ح ـ الرؤيا والصور

ط ـ الأفكار.

ي ـ محاولة فهم العالمين المنظور وغير المنظور.

ك ـ شمولية الشعر لما في الحياة من عوالم.

ل ـ الأسلوب واللغة.

عبد المعين الملوحي

---

(١) اعتمدت في الفقرتين أ و ب من هذا البحث على كتاب (تعريف القدماء بأبي العلاء) دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٣ هـ ـ ١٩٤٤ م.

الدراسة
أ ـ شعر أبي العلاء في كتب القدماء

الخاصة به دفاعاً عنه:

وهي ـ فيما وصل إلى علمي:

١ ـ الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري لابن العديم (٥٨٨ ـ ٦٦٠).

٢ ـ أوج التحري عن حيثية أبي العلاء المعري ليوسف البديعي (٠٠٠ ـ ١٠٧٣).

٤ ـ التبري من معرة المعري للسيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١) .

٤ ـ دفع المعرة عن شيخ المعرة: مؤلف مجهول.

٥ ـ كتاب لم نعرف عنوانه وعرفنا مؤلفه وهو أبو طاهر الحافظ السلفي.

٦ ـ كتاب المجتلى بأخبار أبي العلا لمؤلفه أحمد بن محمد بن عمر الشافعي.

ولنقرأ ما يقوله هؤلاء العلماء عن شعر أبي العلاء خاصة.

١ ـ الإنصاف والتحري:

يتناول ابن العديم في كتابه جوانب كثيرة من حياة أبي العلاء ونسبه وكتبه وأخلاقه، فإذا تناول شعره اقتصر على قوله:

"ومن الأشعار التي نظمها ديوانه المعروف "سقط الزند" وهو ما قاله في أيام الصبا في أول عمره،**وهو من أحسن أشعاره،** وقد اعتنى به العلماء وشرحوه... تزيد أبياته المنظومة على ثلاثة آلاف بيت، شرحه الخطيب التبريزي، وشرحه السيد البطليوسي، أحسن في شرحه.

وكتاب يعرف بـ "ضوء السقط" يشتمل على تفسير ما جاء في (سقط الزند) من الغريب...

وكتاب يعرف بـ "لزوم ما لا يلزم" وهو من المنظوم على حرف المعجم، ويذكر فيه كل حرف سوى الألف بوجوهه الأربعة، وهي الضم والفتح والكسر والوقف منظوماً...

ومقدار هذا الكتاب أربعة أجزاء في مائة وعشرين كراسة وكتاب يعرف بـ "راحة اللزوم" شرح فيه ما في كتاب "لزوم ما لا يلزم" من الغريب مقداره مائة كراسة...

فذلك كله سبعة وستون مصنفاً".

(الانصاف والتحري منقولاً عن كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٣٥)

ذلك كل ما أورده ابن العديم في كتابه عن شعر أبي العلاء، وأنت ترى أنه يكتفي بإيراد أسماء دواوينه، فإذا تعرض لديوان (سقط الزند) قال: "وهو من أحسن أشعاره".

٢ - أوج التحري عن حيثية أبي العلاء المعري لـ "يوسف البديعي"

أورد البديعي في كتابه الحادثة التي وردت في تتمة اليتيمة للثعالبي، وهي تتعلق بإعجاب المصيصي الشاعر بأبيات أنشدها المعري:

وافى الكتاب فاوجب الشكرا فضممته ولثمته عشرا

(أوج التحري: ٤)

(أنظر الحادثة في تتمة اليتيمة).

ثم أورد قسماً من قصيدته:

منك الصدود ومني بالصدود رضا من ذا علي بهذا في هواك قضى

وقال: وهي قصيدة حسنة، ولما ظهرت غنى بها لحسنها ورقتها)

(أوج التحري: ٧).

وأتبع القصيدة بحادثة طريفة فقال:

كان أبو العلاء ذات ليلة في بيته، فسمع في جواره غناء بها فلطم وبكى واستغفر الله من ذلك وقال: والله لو علمت أنه يغنى بشعري لما نطقت به.

(الأوج: ٧ . ٨).

وذكر شعر المعري فقال:

وشعر أبي العلاء كثير وفي كل فن، وميل الناس على طبقاتهم من شاعر مفلق وكاتب بليغ إلى هذا الديوان أكثر. ورغبتهم فيه أصدق، وهو أشبه بشعر أهل زمانه من سواه.

(الأوج : ٨).

ثم انتقل البديعي إلى ذكاء المعري وحافظته وأورد أمثلة كثيرة من شعره ونثره، وختم كتابه بقوله:

هذا، ونوادر أبي العلاء كثيرة، وأخباره غزيرة، وقد اختزنا منها ما يستظرف إيراده ويطرب إنشاده...

٣ ـ التبري من معرة المعري للسيوطي:

والكتاب أرجوزة عدد فيها السيوطي أسماء الكلب، وذكر فيها ما حمله على تأليفها، وليس فيها إشارة على الإطلاق إلى شاعرية المعري. أما أسباب نظم السيوطي للأرجوزة فذكرها السيوطي حين قال:

(دخل يوماً أبو العلاء المعري على الشريف المرتضى، فعثر برجل، فقال الرجل: من هذا الكلب؟ فقال أبو العلاء: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً).

وأردف السيوطي:

(وقد تتبعت كتب اللغة فحصلتها ونظمتها في أرجوزة وسميتها "التبري من معرة المعري" وهي هذه).

ثم أورد الأرجوزة.

إذن فالذي دفع السيوطي إلى نظم الأرجوزة هو إنقاذ نفسه من اتهام المعري لكل من لا يعرف للكلب سبعين اسماً أنه كلب.

ورحم الله المعري فقد أسرف على الناس.

٤ ـ دفع المعرة عن شيخ المعرة

وهو كتاب لا نعرف مؤلفه ولا نعرف شيئاً منه.

وقد ورد عرضاً في كتاب ابن الوردي (تتمة المختصر في أخبار البشر).

(حوادث عام ٤٤٩)
(التعريف ٢١٠).

قال ابن الوردي:

وصنف بعض الأعلام في مناقبه كتاباً وسماه (دفع المعرة عن شيخ المعرة، وفي هذين الكتابين (كتاب العدل والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري) لابن العديم و(كتاب دفع المعرة عن شيخ المعرة) للمؤلف المجهول، فصول من نوادر ذكائه، وإجابة دعائه، والاعتذار عن طعن أعدائه.

وأرجو أن نعثر على هذا الكتاب.

٥ ـ كتاب وضعه أبو طاهر الحافظ السلفي أحمد بن محمد بن أحمد بن سلفة الأصبهاني، المتوفى سنة ٥٧٦:

وهو تلميذ أبي زكريا التبريزي، تلميذ أبي العلاء، وهذا الكتاب لم نقف عليه وإنما ذكره ابن الوردي في تاريخه (١ : ٣٦).

الجامع في أخبار أبي العلاء المعري (٥٢٩ . ٥٣٠).

٦ ـ كتاب المجتلى بأخبار أبي العلا:

وضعه الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الشافعي المشهور بابن أبي عذيبة المولو د في القدس والمتوفى بها سنة ٨٥٦ قال في كتابه (دول الأعيان) شرح قصيدة (نظم الجمان) في ذكر من سلف من أهل الزمان في ترجمة أبي العلاء (ج ٤ : ١٢). "وكان عالماً شاعراً لغوياً، آية من الآيات، وشعره في غاية الرقة والانسجام، إليه النهاية....)

ثم قال: (وقد ذكرته في مصنف مفرد... وسميته المجتلى بأخبار أبي العلا...).

(الجامع في أخبار أبي العلاء المعري ١ : ٥٣١).

(ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٧ مجلد ٢ ، ص ٣٤١).

وأما الكتب الخاصة بأبي العلاء التي ألفت في الطعن فيه أو الرد عليه فمنها:

١ ـ نصر الأعيان على شعر العميان لابن الوزير اليماني.

(الجامع ١ : ٥٣٢).

٢ ـ رجمة العفريت:

وضعه أبو منصور الكاتب عبد الله بن سعيد بن مهدي الحذافي المتوفى سنة ٢٨٠ هـ . رد فيه على المعري.

الجامع (١ : ٥٣٢).

٣ ـ كتاب الصهلة القارح

ذكره ياقوت (٦: ٣٤٦) في ترجمة محمد بن أحمد الأبيوردي... رد فيه على المعري في سقط الزند...

(الجامع ١ : ٥٣٢).

٤ ـ كتاب المطاول

ذكره السيوطي في ترجمة محمد بن علي بن المفضل القامفار الحلي ورد فيه على المعري في مواضع سها فيها.

(الجامع ١ : ٥٣٢).

ب ـ شعر المعري في كتب التراجم:

١ـ تتمة اليتيمة للثعالبي (٣٥٠ ـ ٤٢٩)

وفيها خبر واحد رواه الثعالبي عن المصيصي الشاعر وليس في الخبر حكم مباشر على شعر أبي العلاء، ولكنه يذكر إعجاب المصيصي بأبيات للمعري قال:

وحضرته (المعري) يوماً وهو يملي في جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء[١]:

واف الكتاب فاوجب الشكرا فضممته ولثمته عشرا

وفضضته وقراته فإنا احلى[٢] كتاب في الورى يُقرا

فمحاه دمعي من تحدره شوقاً إليك فلم يدع سطرا

فتحفظتها[٣] واستعملتها كثيراً في مكاتبات الإخوان.

---

(١) الأبيات التالية لم ترد في الديوانين.

(٢) ورد في (التعريف) أجلى نقلاً عن ياقوت، وقال: في الأصل أحلى، وفضلناها على رواية ياقوت كما ورد في الأصل.

(٣) تحفظ الكتاب ونحوه استظهره شيئاً بعد شيء. أنظر اللسان (٩ : ٣٢).

(التعريف ٣ . ٤).

٢ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣٩٢ ـ ٤٦٣).

كل ما قاله عن شعر المعري: كان حسن الشعر.

(٤ : ٢٤٠ . ٢٤١) التعريف
: ٥).

٣ ـ دمية القصر للباخرزي (...ـ ٤٦٧).

وفيها رأي شاعري عام عن شعر المعري:

ورأيت ديوان شعره، الذي سماه سقط الزند، وهتف فيه كالحمام على فنن غض النبات من الرند. ثم يورد بعض أبياته.

(٥٠ . ٥٢)

(التعريف ٨).

٤ ـ الأنساب للسمعاني (٥٠٦ ـ ٥٦٢).

وفيه فقرة واحدة عن شعر المعري:

كان حسن الشعر، جزل الكلام، فصيح اللسان، غزير الأدب. عالماً باللغة، حافظاً لها...

وشعره المعروف بسقط الزند سائر مشهور.

(١١٠ . ٥٢٦)

(التعريف ١٢).

٥ - نزهة الألبا، لابن الانباري (٥١٣ - ٥٧٧).

كان... حسن الشعر... وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة أو اثنتي عشرة...

(٤٢٥ . ٤٢٧) (التعريف ١٦).

٦ - المنتظم لابن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧).

... قال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، وله اشعار كثيرة...

(٧ : ١٥٦ . ١٦٠)
(التعريف : ١٨).

٧ - إنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطي (٥٦٨ - ٦٤٦).

... كان حسن الشعر... ثم يذكر أخباره وكتبه

(١ : ٤١ . ٧٧) (التعريف ٢٧).

٨ - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي ٥٧٤ - ٦٢٦).

... كان جيد الشعر... ثم يذكر أخباره وأخبار كثير من أهله...

(١ : ١٦٢ ـ ٢١٦)
(التعريف : ٦٧).

٩ ـ الكامل لابن الأثير: (٥٥٥ ـ ٦٣٠)

لا يتحدث عن شعره وقال: إلا أن اكثر الناس يرمونه بالزندقة، وفي شعره ما يدل على ذلك.

(٩ : ٢٣٨)

(التعريف: ١٤٢).

١٠ ـ مرأة الزمان لسبط ابن الجوزي (٥٨١ ـ ٦٥٤).

وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة أو اثنتي عشرة.

قال ابن الصابي: وله شعر كثير، وفيه أدب غزير...

(حوادث سنة ٤٤٩)
(التعريف: ١٤٣).

١١ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان: (٦٠٨ ـ ٦٨١).

ولا يتحدث عن شاعرية أبي العلاء ويكتفي بذكر بعض مؤلفاته وأخباره...

(١ : ٣٣ ـ ٣٥) (التعريف : ١٨٢).

١٢ ـ المختصر في أخبار البشر: لأبي الفداء (٦٧٢ ـ ٧٣٢).

لا يتحدث عن شعره ويقول:

كان عالماً لغوياً شاعراً... وله مصنفات كثيرة، أكثرها ركيكة؟ فهجرت لذلك... وكان يظهر الكفر...

(حوادث عام ٤٤٩)
(التعريف ١٨٦).

١٣ ـ تاريخ الإسلام للذهبي (٦٧٣ ـ ٧٤٨).

... الشاعر المشهور، صاحب التصانيف المشهورة والزندقة المأثورة.

(١١: ٤٦ ـ ٤٧٠) (التعريف ١٨٩).

١٤ ـ تتمة المختصر في أخبار البشر لابن الوردي (... ـ ٧٤٩).

لم يتحدث إلا عن حياته ومؤلفاته.

(حوادث عام ٤٤٩)
(التعريف ٢٠٦).

١٥ ـ مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (٧٠٠ ـ ٧٤٩).

حديث عام ومدح له:

ما ولدت مثله الليالي، ولا أوجدت شبيهه المعالي...

وله من بدائع النظم والنثر قمراها، ومن روائع العلم والعمل سمراها، ومن يانع ما تجني المسامع والأبصار ثمراها...

(١٠ : ٢٨٢ . ٣١٩
المخطوطة) (التعريف:
٢١٧).

١٦ ـ الوافي بالوفيات، للصفدي (٦٩٦ ـ ٧٦٤).

تحدث عن حياة المعري وعقيدته ومؤلفاته واستطرد قليلاً إلى الحديث عن الصنعة في شعره، كالاستخدام والبديع.

(١ : ٢٧٥ . ١٨٥) (التعريف
٢٦٣ . ٢٨٤).

١٧ ـ نكت الهميان في نكت العميان للصفدي أيضاً:

وحديثه فيه مثل حديثه في كتابه الأول (الوافي بالوفيات)
وبعد إيراد شيء من شعره أضاف: وهذه الأشياء (المتناقضات) في كلامه كثيرة، وإلى الله ترجع الأمور.

(في ترجمة المعري)
(التعريف: ٢٨٥ . ٢٩٦).

١٨ ـ مرآة الجَنان... لليافعي (قبل ٧٠٠ ـ ٧٦٨).

واكتفى بقوله عن شعره: الشاعر المشهور.

(حوادث سنة ٤٤٩)

(التعريف:٢٩٧ . ٣٠٠).

١٩ ـ البداية والنهاية لابن كثير (٧٠١ ـ ٧٧٤).

وقال: الشاعر المشهور بالزندقة...

(حوادث سنة ٤٤٩)
(التعريف ٣٠١ . ٣٠٨).

٢٠ ـ روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر لابن الشِّحنة (٧٤٩ ـ ٨١٥).

وقال: كان عالماً لغوياً شاعراً.

(هامش الجزء الثامن من كامل ابن الأثير: ١٦١).

(التعريف: ٣٠٩ . ٣١٠).

٢١ ـ لسان الميزان لابن حَجَر (٧٧٣ ـ ٨٥٢).

... له شعر يدل على الزندقة... الشاعر المشهور...

(١ : ٢٠٣ . ٢٠٨) (التعريف ٣١١ . ٣١٨).

٢٢ ـ عقد الجمان للعيني (٧٦٢ ـ ٨٥٥).

... صاحب الدواوين... ونقل كلام ابن الجوزي: وقد رأيت للمعري كتاباً سماه (الفصول والغايات) وهو كلام في نهاية الركة والبرودة، فسبحان من أعمى بصره وبصيرته.

(الجزء المتمم العشرين: ١٤٠.
١٤٨) (التعريف ٣١٩ . ٣٢٨).

٢٣ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تخري بَرْدي (٨١٣ ـ ٨٧٤)

... الشاعر المشهور... وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة...

(٥ : ٦١ . ٦٢)

(التعريف ٣٢٩ . ٣٣٠).

٢٤ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١)

.... جيد الشعر...

(١٣٦ . ١٣٧)

(التعريف ٣٣١ . ٣٣٤).

٢٥ ـ معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص للعباسي (٨٦٧ ـ ٩٦٣).

لا رأي في شعره وقال في عقيدته: والله تعالى أعلم بأمره.

(٦٥ . ٧٠)

(التعريف: ٣٣٩ . ٣٤٥).

٢٦ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (١٠٣٢ ـ ١٠٨٩).

... اللغوي الشاعر، صاحب التصانيف المشهورة والزندقة المأثورة....

ورد لكلمة الذهبي في تاريخ الاسلام

(٣ : ٢٨٠ . ٢٨٢) (التعريف ٣٤٦ . ٣٥٠).

٢٧ ـ نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ، للعباسي المكي (القرن ١٢ هـ)

... الشاعر الماهر... أجمع على تقدمته الجمهور، بأنه فارس المنظوم والمنثور... أقر له بالبلاغة والأدب كل بليغ وأديب، ويشهد له قوله من لاميته التي هي أحلى من لام عِذار الحبيب، وأغلى من اللؤلؤ النفيس الرطيب:

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل.

وأضاف: وأما لاميته التي هي أحلى من لام العذار، ولو تجسمت لتحلى بها الملاح والأبكار، ثم أورد القصيدة.

(١ : ٢٨٧ . ٢٨٤) (التعريف ٣٥١ . ٣٦٥).

ج ـ شعر المعري في الكتب الأدبية العامة التراثية.

١ ـ سر الفصاحة للخفاجي (... ـ ٤٦٦).

يعلق على (لزوم ما لا يلزم) فيقول:

وقد التزم بعض الشعراء في القوافي إعادة ما لا يلزمه إعادته، طلباً لزيادة في التناسق، والاغراق في التماثل...ونظم أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان شعره المعروف بلزوم ما لا يلزم على هذه الطريقة...

(التعريف: ٣٦٩ . ٣٧٣).

٢ ـ تهذيب إصلاح المنطق للتبريزي (٤٢١ ـ ٥٠٢).

لم يشر إلى شعره على الإطلاق.

(التعريف : ٣٧٤).

٣ - شرح ديوان أبي تمام للتبريزي أيضاً.

لا يشير إلى شعر المعري

(التعريف: ٣٧٥ . ٣٧٦).

٤ - شرح ديوان الحماسة للتبريزي أيضاً.

لا يشير إلى شعر أبي العلاء.

(التعريف ٣٧٧).

٥ - سر العالَمين للغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥).

أورد أبياتاً للمعري فحسب.

(التعريف : ٣٧٨ . ٣٧٩).

٦ - الاحتجاج للطبرسي (من أعيان المائة الخامسة وأدرك أوائل السادسة)

حكى حكاية المعري مع الشريف المرتضى في مسألة فلسفية.

(٢٥٥ . ٢٥٦) التعريف
(٣٨٠ . ٣٨٢).

٧ - الكشاف للزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨).

يكتفي بالدعاء عليه والتهجم (جمع الله له عمى الدارين).

(التعريف: ٣٨٣).

٨ ـ نقد مقامات ابن الحريري لابن الخشّاب (٤٩٢ ـ ٥٦٧).

يورد جملة لأبي العلاء زعم أن الحريري أخذها

(٨) التعريف (٣٨٤).

٩ ـ الفهرسة لابن خير الإشبيلي (٥٠٢ ـ ٥٧٥).

يتحدث عن بعض تآليف أبي العلاء.

(التعريف: ٣٨٥ . ٣٨٦).

١٠ ـ المجالس المؤيدية لحاتم بن إبراهيم الحميدي (... ـ ٥٩٦).

يذكر مجلس الشيوخ الذين أفتوا بقتل المعري ثم تراجعوا.

(التعريف : ٣٨٧ . ٣٨٨).

١١ ـ الأذكياء لابن الجوزي (٥١٠ ـ ٥٩٧).

يكتفي بذكر خبر الرجل الذي أنشد بيتاً لعلي بن الجهم فردت عليه المرأة بإنشاد بيت لأبي العلاء.

١٢ ـ تلبيس إبليس لابن الجوزي أيضاً.

إتهام قاس لأبي العلاء بالإلحاد

(١١١ . ١١٢)
(التعريف: ٣٩٠).

١٣ ـ ألف باء للبلوي (٥٢٧ ـ ٦٠٤)

يكتفي بالتعليق على بيت للمعري

(٢ : ٣٨٢) (التعريف ٣٩١).

١٤ ـ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ياقوت (٥٧٤ ـ ٦٢٦).

قال في ترجمة داوود بن أحمد بن يحيى:

"وكان مولعاً بشعر أبي العلاء المعري، يحفظ منه جملة صالحة ولذلك كان الناس يرمونه بسوء العقيدة".

وأما شميم الحلي فسأل عن أبي العلاء فانتهره المسئول وقال له: ويلك كم تسيء الأدب بين يدي!... من ذلك الكلب الأعمى حتى يذكر بين يدي تفي مجلسي؟!

(٤ : ١٩١) (التعريف: ٣٩٢).

١٥ ـ معجم البلدان لياقوت أيضاً:

يستشهد ببيت لأبي العلاء أورد فيه كلمة الضراح والضريح.

(التعريف: ٣٩٣).

١٦ ـ المثل السائر لابن الأثير (٥٥٨ ـ ٦٣٧)

يورد رأي المعري في المتنبي ثم يقول:

وكان ابو العلاء أعمى العين خلقة وأعماها عصبية، فاجتمع له العمى من جهتين.

(ص ١٨٤) (التعريف: ٣٩٤).

وجاء فيه مرة أخرى بعد أن أورد أبياتاً لأبي تمام:

وهذا من أحسن ما يجيء في هذا الباب وليس بمتكلفٍ كشعر أبي العلاء، فإن حسن هذا مطبوع وحسن ذلك مصنوع، وكذلك أقول في غير اللزوم من الأنواع المذكورة أولاً، فإن الألفاظ إذا صدرت بها عن سهولة خاطر وسلاسة طبع وكانت غير مستجلبة ولا متكلفة جاءت غير محتاجة إلى التأنق، ولا شك أن صورة الخلقة غير صورة التخلق...

(ص ١٠٩) (لم ترد في التعريف).

١٧ ـ الجامع الكبير لابن الأثير أيضاً.

وقد استعمل ذلك (لزوم ما لا يلزم) أبو العلاء المعري فأتى بشيء ينبو عنه الطبع، كقوله في قافية التاء مع الخاء:

بنت عن الدنيا ولا بنت لي ... فيها ولا عرس ولا اخت

وقد تحملت من الوزر ما ... تعجز أن تحمله البخت

إن مدحوني ساءني مدحهم وخلت اني في الثرى سخت

وقال في الخاء المضمومة مع الباء:

لا يفقدن خيركم مجالسكم ولا تكونوا كأنكم سبخ

ولا كقوم حديث يومهم ما أكلوا أمسهم وما طبخوا

وأمثال هذا كثيرة، وله مع ذلك البديع النادر الذي تتقاصر عنه الفصحاء كقوله:

ليل بلا نور أجن بمهمه حبس الأدلة ليس فيه منار

وهي الحياة فعفة أو فتنة ثم الممات فجنة أو نار

وقال أيضاً:

تنازع في الدنيا سواك ومالَه ولا لك شيء في الحقيقة فيها

وله من جملة قصيدة:

أرى الدنيا وما وصفت ببر إنا اغنت فقيراً أوهقته

وأمثال هذه كثيرة في شعره، فأعرف فإنها من محاسن لزوم ما لا يلزم...

(ص ٢٦٧ . ٢٦٩) (لم يرد في التعريف).

١٨ - شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد (٥٨٦ - ٦٥٥).

يعلق على شعر المعري فيقول: وقد صنع المعري كتاباً في اللزوم من نظمه فأتى فيه بالجيد والردىء وأكثره متكلف، ومن جيده قوله[1]:

(١) لم يرد البيتان في لزوم ما لا يلزم المطبوع.

لا تطلبنَّ بآلة لك حالة قلم البليغ بغير حظ مغزل

سكن السماكان السماء كلاهما هذا له رمح، وذلك اعزل

(١ : ٤٤) (التعريف: ٣٩٥).

١٩ ـ التكملة لابن الأبار (٥٩٥ ـ ٦٥٨)

اكتفى بإيراد بيتين من الشعر

(التعريف: ٣٩٦).

٢٠ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (٠٠٠ ـ ٦٦٨)

وأورد رأي المعري في كتب جالينوس

(١ :٨٨) (التعريف: ٣٩٧. ٣٩٨).

٢١ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان (٠٠٠ ـ ٦٨١)

أورد في ترجمة ابن عنين الشاعر:

وكتب من بلاد الهند إلى أخيه وهو بدمشق هذين البيتين والثاني منهما لأبي العلاء المعري،استعمله مضمناً، فكان أحق به وهما:

سامحتُ كُتبك في القطيعة عالماً أن الصحيفة لم تجد من حاملِ

وعذرتُ طيفك في الجفاء لأنه يسري فيصبح دوننا بمراحل

فلله دره ما أحسن ما وقع له هذا التضمين.

٢٢ ـ المُغرِب في حلى المَغرب، والمُشرق في حلى المَشْرق، لعدة مؤلفين

ذكر شطر بيت قال إنه للمعري وهو لعبد الله بن الزبعري.

٢٣ ـ غرر الخصائص للوطواط (٦٣٢ ـ ٧١٨).

تحدث عن ذكائه وليس فيه شيء عن شعره.

(١٨٧) (التعريف: ٤٠٢).

٢٤ ـ تتمة المختصر لابن الوردي (٠٠٠ ـ ٧٤٩).

اجتاز ابن القيسراني بالمعرة فكتب على قبر أبي العلاء بيتين.

(حوادث عام ٥٤٨)
(التعريف: ٤٠٣).

٢٥ ـ فوات الوفيات لابن شاكر (٠٠٠ ـ ٧٦٤).

أورد رداً على أبيات لأبي العلاء.

(٢ : ٢٩٨) (التعريف : ٤٠٤).

٢٦ ـ الغيث المُسَجَّم للصفدي (٦٩٦ ـ ٧٦٤).

ومن وقف على كلام أبي العلاء المعري في رسالة الغفران، في ذينك البيتين اللذين للنمر بن تولب وهما:

ألم بصحبتي، وهمُ هجوع خيال طارق من أم حصن

لها ما تشتهي عسل مصفي متى شاءت وحُوّارى بسمنِ

وكيف غير القوافي منها ونزلها على سائر حروف المعجم، خلا حرف الطاء، علم تمكن أبي العلاء من الأدب وإطلاعه على اللغة.

(١ / ٢٢) (التعريف: ٤٠٥ . ٤٠٧).

وقال ١:١٩٤: (لم يرد في التعريف)

وقد أحسن ابوالعلاء كل الاحسان حين قال:

مواصلة بها رَحلي كاني من الدنيا أريد لها انفصالا

سألن فقلت:مقصدنا سعيد فكان اسم الامير لهن فالا

هذا مما يُطلب لحاقه فما تحمل الجواد قوادمه، ويسبى له من كل حسن كرائمه؛ ويُفتح له في البديع نور والقلوب كمائمه؛ ويجلي الاسماع بسمط لم يفتقه ناظمه.

٢٧ ـ نكت الهميان للصفدي أيضاً

ذكر أبياتاً منحولة لأبي العلاء ثم قال في ترجمة مكي بن ريان...:

وكان يتعصب لأبي العلاء المعري ويطرب إذا قرىء شعره للجامع بينهما من الأدب والعمى، لأنه أضرَّ بأخرة.

(المقدمة ٧٥ وترجمة مكي بن ريان) (التعريف: ٤٠٨).

٢٨ ـ طبقات الشافعية لابن السبكي (٧٢٧ ـ ٧٧١).

يورد بيتي أبي العلاء:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم التحرير زنديقا

وأشفعهما بقوله: فقبحه الله، ما أجرأه على الله عز وجل..

(ترجمة إبراهيم بن علي الفيروزبادي) (التعريف: ٤٠٩ . ٤١٠).

٢٩ ـ المقدمة لابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨).

قال في المقدمة: وقولنا "الجاري على الأساليب المخصوصة به (بالشعر) فضل له عما لم يجر منه على أساليب الشعر المعروفة، فإنه حينئذ لا يكون شعراً، إنما هو كلام منظوم، لأن الشعر له أساليب تخصه لا تكون للمنثور، وكذا للمنثور أساليب لا تكون للشعر، فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب فلا يسمى شعراً.

وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي و"المعري" ليس من الشعر في شيء، لأنهما لم يجريا على أساليب العرب فيه.

وذكر مثل هذا القول مرة أخرى[1].

---

(١) عقب المرحوم محمد اسعاف النشاشيبي على رأي ابن خلدون في المتنبي والمعري فقال: وكان شيوخ ابن خلدون يرون ـ كما قال ـ أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر

(المقدمة ٦٢٠ و ٦٢١ و ٦٢٢) (التعريف: ٤١١ . ٤١٢).

٣٠ ـ ثمرات الأوراق لابن حِجة (٧٧٧ ـ ٨٣٧).

يكتفي بذكر بعض حوادثه مع الشعراء، ومنهم المنازي

(المطبعة الوهبية)
(التعريف: ٤١٣ . ٤١٥).

٣١ ـ خزانة الأدب لابن حجة أيضاً:

وعدوا من المرقص قول أبي العلاء:

والخِل كالماء يبدي لي ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

(ص / ٣١٢) (ولم يرد الكتاب في التعريف).

٣٢ ـ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٨١٣ ـ ٨٧٤).

يورد جواب الشاعر القيرواني على بيتين للمعري.

(سنة ٥١٢) (التعريف: ٤١٦).

في شيء ـ الله أكبر ـ لأنهما لم يجريا على أساليب العرب.
وكلام هؤلاء الشيوخ ـ شفاهم الله ـ ليس بشيء إلا شيئاً لا يعبأ به.
محاضرات مجمع اللغة العربية ج ٣ ص ١٤٣ .

٣٣ ـ بغية الوعاة للسيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١).

ذكر ملازمة نصر بن صدقة القابسي للمعري وأخذه عنه ديوان "سقط الزند"

(ص ٤٠٣) (التعريف: ٤١٧).

٣٤ ـ النور السافر للعيدروسي (٩٨٧ ـ ١٠٣٨)

أورد بعض أشعار المعري والرد عليها، وذكر ما يلي:

قال المجد الفيروزبادي، صاحب القاموس، في كتابه (البلغة في تاريخ أئمة للغة" والناس فيه فرقتان، فمنهم من يكفره ويزعم أنه كان زنديقاً، ومنهم من هو بضد ذلك...

(٤١٠ . ٤١٢) (التعريف: ٤١٨ . ٤٢٠).

٣٥ ـ نفح الطيب للمقَّري (٠٠٠ ـ ١٠٤١).

أورد أبياتاً في مدح شاعر قال إنه ثاني المعري.

(١ : ١١٧) (التعريف :٤٢١ . ٤٢٢).

٣٦ ـ الصبح المنبي عن حيثية المتنبي للبديعي (٠٠٠ ـ ١٠٧٣).

حكايات عن ذكاء المعري وأورد قول الباخرزَي:

أحمد بن سليمان المعري، ضرير، ماله في أنواع الأدب ضريب، ومكفوف في قميص الفضل ملفوف ومحجوب....

د ـ المعري في الأدب المغربي

لا تضيف شيئاً ذا بال على شاعرية أبي العلاء.

هـ ـ أبو العلاء في الأدب الفارسي:

تصّان لناصر خسرو في (سفر نامه) ولدولت شاه في (تذكرة الشعراء) ليس فيها جديد عن شعر المعري.

و ـ النحاة وأبو العلاء:

أكثرها في مناقشة بيت أبي العلاء:

يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الغمد يمسكه لسالا.

ملاحظة:

قد يرى بعض القراء في نقلي من كثير من الكتب بعض ما ورد على الخصوص عن شاعرية أبي العلاء مغالاة وإسرافاً، وليس ذلك كذلك، فقد أردت أن يكون بحثي موضوعياً ومستنداً إلى الوقائع والوثائق ولذلك فقد حرصت على إيراد كل ما يتعلق بشعر أبي العلاء، في كتب القدماء من أنصار وخصوم.

الخلاصة:

يتبين مما لخصنا من الكتب الخاصة بأبي العلاء، ومن الشذرات الواردة في الكتب الأدبية وكتب التراجم واللغة أن أصحابها لا يكادون يبحثون في شاعرية أبي العلاء وأنهم ينقسمون هذه الأقسام:

أ ـ فريق لم يشر إلى شعره وشاعريته في قليل ولا كثير، واكتفى بذكر شيء

من حياته وذكائه وعقيدته.

ب ـ فريق اقتصر على قوله (حسن الشعر) أو (جيد الشعر) أو (شعره غاية في الرقة والانسجام) ولم يتعرض لمواطن الحسن والجودة فيه.

جـ ـ فريق هاجم شعره لأفكاره وما تصور فيها من إلحاد ومروق.

د ـ فريق بحث بعض البحث في شعره سلباً أو إيجاباً وعلى رأس هذا الفريق ابن الأثير في كتابيه (المثل السائر) و(الجامع الكبير).

فهل نجد في الذين تناولوا أبا العلاء في هذا العصر من بحث في شاعرية المعري ووفاها حقها أو أن نصيبهم من هذا البحث ليس أكثر من نصيب القدماء؟

ح ـ شعر المعري في كتب المعاصرين الخاصة به:

أثار المعري في العصر الحديث اهتمام الأدباء فكتبوا عنه كتباً كثيرة هذه بعضها:

١ ـ أبو العلاء المعري وما إليه تأليف: عبد العزيز الميمني.

٢ ـ تجديد ذكرى أبي العلاء ، تأليف : طه حسين.

٣ ـ مع أبي العلاء في سجنه ، تأليف : طه حسين.

٤ ـ رجعة أبي العلاء، تأليف : عباس محمود العقاد.

٥ ـ أبو العلاء نسبه وأخباره وشعره، تأليف : أحمد تيمور.

٦ ـ الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره، تأليف : محمد سليم الجندي، ويقع في ٣ مجلدات.

٧ ـ أبو العلاء المعري، تأليف: سامي الكيالي.

٨ ـ أبو العلاء المعري ناقد المجتمع ، تأليف : زكي المحاسني.

٩ ـ على باب سجن أبي العلاء، تأليف: معروف الرصافي.

١٠ ـ آثار أبي العلاء، وضع وزارة المعارف المصرية.

١١ - أبو العلاء المعري: حياته وشعره، تأليف : سمير الصارم، وغيرها....

هذه بعض الكتب التي تحدثت عن أبي العلاء، فهل نجد فيها زاداً يشرح لنا شاعرية أبي العلاء ويدلنا عليها أكثر من اهتمامه بحياته وشعره؟

ما أظن؟

ومع ذلك فلنستعرض بعض هذه الكتب:

١ - ابو العلاء وما إليه لـ (عبد العزيز الميمني).

وأفاض فيه الميمني عن المعرة، وعن نسب أبي العلاء وحياته وعقيدته، ولم يكد يعرج على شاعرية أبي العلاء رغم إيراده شيئاً من شعره غير موجود في ديوان (سقط الزند) و(لزوم ما لا يلزم).

٢ - مع أبي العلاء في سجنه، (د. طه حسين).

يتهم طه حسين أبا العلاء بالعبث في شعره بالنحو أو بالصرف أو بهما معاً، ويضرب أمثلة على ذلك ويختتم رأيه بقوله: فقد نسرف على أنفسنا وعلى الفن الأدبي إن ظننا أن شعر اللزوميات جيد كله من هذه الناحية الفنية، بل نسرف على أنفسنا وعلى الفن الأدبي، إن ظننا أن كثرة هذا الشعر جيدة، وإنما المحقق أن الجيد من شعر اللزوميات قليل، ويمكن أن يستخلص في مجلد نحيف يجمع إلى الجمال خلاصة الفلسفة العلائية كلها.

(ص : ٩٧ . ٩٨).

ويرى طه حسين أن اللزوميات نتيجة الفراغ واللعب أو نتيجة العمل الذي دعا إليه الفراغ والجد الذي جر إليه اللعب.

(ص : ٩٧).

ويشرح رأيه فيقول:

فأولها العبث بالنحو أو بالصرف إن شئت أو بهما جميعاً، وأيسر الأمثلة لهذا العبث بيتاه المشهوران:

ما لي غدوت كقاف رؤبة قيدت في الدهر لم يقدر له إجراؤها

اعللت عاة قال وهي قديمة اعيا الأطبةَ كلَّهم إبراؤها

وما أراني أخطأت حين رأيت رضاه عن هذين البيتين، وحين سمعته يكرر إنشادهما في خلوته إلى نفسه في ظلمة الليل وفي وضح النهار فكلاهما ظلمة... وما أراني أخطأت حين رأيت كتَّابه وطلابه الذين لم يكونوا يكتبون يعجبون بهذين البيتين حين أملاهما الشيخ ذات صباح أو ذات مساء أشد الإعجاب، ويستعيدونهما مرة بعد مرة...

(ص : ٩٨).

٣ ـ تجديد ذكرى أبي العلاء (د. طه حسين).

هذا الكتاب هو الرسالة التي قدمها طه حسين إلى الجامعة المصرية سنة ١٩١٤ ونال بها لقب دكتور في الأدب.

يضم الكتاب خمس مقالات.

المقالة الأولى في زمان أبي العلاء ومكانه.

المقالة الثانية في أسرته وحياته.

المقالة الثالثة في أدبه.

المقالة الرابعة في علمه وآثاره

المقالة الخامسة في فلسفته.

ويهمنا من الكتاب المقالة الثالثة ويشغل شعر أبي العلاء منها ما بين الصفحة ١٨٠ إلى الصفحة ٢١٢ ، وهذا الجزء من المقال يتحدث أكثره عن دواوينه وعن أغراض شعره، ويتحدث أقله عن شاعريته وفنه.

ولننتق منه بعض ما قاله طه حسين.

سقط الزند:

... وفي هذا الديوان قصائد هن الجياد. لم ينظمهن الشاعر إلا في عزلته كرثائه لأمه وكالقصائد التي بعث بها إلى أهل العراق، ص ١٤٠ ، ويتحدث طه حسين عن كثرة شعر المعري فيقول:

ويحدثنا ناصر خسرو في رحلته أن أبا العلاء نظم من الشعر مائة ألف بيت... وذلك في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، أي قبل موت الشاعر بعشر سنوات، ولا ريب أنه نظم بعد ذلك الشيء الكثير، ومع ذلك فليس لدينا من نظمه الآن إلا شيء لا يقاس إلى ما يروي التاريخ عن كثرة نظمه.

ص : ١٧٩ .

ثم يتحدث عن أطوار شعره: أحدها دور الصبا وينتهي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة حين بلغ العشرين والثاني طور الشبيبة وينتهي سنة أربعمائة والثالث طور الكهولة والشيخوخة.

ص :١٨٢ .

فأما شعره في طور الحداثة فتكثر فيه المبالغة ويظهر التكلف، وتنقصه متانة اللفظ ورصانة الأسلوب وإتقان المعنى... ص ١٨٣ فأما شعره في الطور الثاني فتكاد تغلب عليه المبالغة، ولكن حظه من التكلف ينقص،

وقسطه من المتانة يزداد وتمثيله لعواطف الشاعر يصح...

ص : ١٨٤ .

الطور الثالث: أبو العلاء في هذا الطور بدوي اللفظ والأسلوب، قليل التكلف والمبالغة، ولكن شعره يمثل شخصه تمثيلاً صحيحاً...

ص : ١٨٨ .

وأبو العلاء، كما مثل شخصيته في شعره الناضج مثل عواطفه أيضاً...

ص : ١٨٩ .

وعلق على بيت لأبي العلاء فقال:

ثم عرض أبو العلاء لوصف المعاني، وهو لوصفها متقن، وللتشبيه فيها مجيد فقال:

هرب النوم عن جفوني فيها هرب الأمن عن فؤاد الجبان

فانظر إليه كيف أحسن التشبيه كل الإحسان وأجاده كل الإجادة.

ص : ١٩٦ .

وأشاد طه حسين بقصيدة المعري في رثاء أبي حمزة فقال:

نعتقد أن العرب لم ينظموا في جاهليتهم وإسلامهم ولا في بداوتهم وحضارتهم قصيدةً تبلغ مبلغ هذه القصيدة في حسن الرثاء.

ص : ١٩٩ .

ثم يحلل القصيدة، ثم يقول:

وقد بينا أن الشعر الجيد حقاً لأبي العلاء، إنما هو شعر الطور الثالث لأن شخصية الشاعر وعواطفه تظهر فيه.

ص: ٢٠٨

وليس في شعراء العرب كافة من يشارك أبا العلاء في خصال امتاز بها، منها أنه أحدث فناً في الشعر لم يعرفه الناس من قبل، وهو الشعر الفلسفي الذي وضع فيه كتاب (اللزوميات).

ص ٢١٠ . ٢١١ .

هذا الفن الشعري الفلسفي الذي أنشأه أبو العلاء قد وهب للغة العربية في اللزوميات مزاجاً خاصاً يألفه أهل الجد ويميل إليه أهل الحزم، مزاج لا يعرف الباطل إليه سبيلاً، ولا يملك الضعف النفسي عليه سلطاناً، ثم هو مع ذلك ممثل لعواطف الشاعر تمثيلاً صحيحاً، فليس ينقصه من مزايا الشعر المعروف إلا الكذب وقلة الغريب...

خلاصة آراء طه حسين في كتابيه:

١ ـ المعري كان يعبث في شعره بالنحو أو بالصرف أو بهما جميعاً.

٢ ـ اللزوميات نتيجة الفراغ واللعب.

٣ ـ ليس شعر اللزوميات جيداً كله، بل ولا أكثره.

٤ ـ يمكن اختصار الزوميات في مجلد نحيف يجمع إلى الجمال خلاصة الفلسفة العلائية.

٥ ـ شعر المعري الجيد كان شعر الطور الثالث من حياته لأن شخصية الشاعر وعواطفه تظهر فيه.

٦ ـ في سقط الزند قصائد جياد نظمها الشاعر في عزلته.

٧ ـ قصيدته الدالية في رثاء أبي حمزة لم ينظم العرب مثلها في جاهليتهم ولا إسلاميتهم.

٨ ـ أحدث فناً في الشعر العربي لم يعرفه من قبل وهو الشعر الفلسفي.

٩ ـ المعري متقن لوصف المعاني.

تلك هي آراء طه حسين في المعري مختصرة.

وسنورد ردنا على بعض هذه الآراء بعد قليل، ونبتدىء برد معروف الرصافي عليه في كتابه (على باب سجن أبي العلاء).

٤ ـ على باب سجن ابي العلاء لـ (معروف الرصافي):

أ ـ يفتتح الرصافي كتابه بنفحة عاطفية عطرة فيقول:

وإني لا أذكره (المعري) إلا بشاعر البشر، شاعر الأرض والسماء. كما قلت فيه من قصيدة:

حل في ذروة الأدب آتيا منه بالعجب
لا نقل: شاعر العرب إنه شاعر البشر

.....

شاعر الأرض والسماء هو بالفكر قد سما
أبصر الحق بالعمى لم يضره عمى البصر

ب ـ وينتقل بعد هذه النفحة العاطفية إلى البحث، فيقول:

لماذا تقيد أبو العلاء بلزوم ما لا يلزم؟

أراد الدكتور طه حسين أن يعلل هذا القيد الذي قيد به أبو العلاء نفسه في اللزوميات فقال في مقاله (ص: ١٠١):

"وأول ما أواجهك به من ذلك... هو أن الزوميات ليست نتيجة العمل وإنما هي نتيجة الفراغ، أو ليست نتيجة الجد والكد وإنما هي نتيجة العبث واللعب، وإن شئت فقل: نتيجة عمل دعا إليه الفراغ ونتيجة جد جر إليه اللعب".

أما نحن فنقول:

إن هذا القول من الدكتور مهما أيدته الأحوال والقرائن من حياة أبي العلاء، فإنما هو ظن من الظنون...

ولا ريب أن أبا العلاء كان يعرف ماله من هذه القدرة (اللغوية) فلذا أراد أن يقول لأهل الفصاحة واللسن من أهل زمانه:

أيها الناس. إنني أقيد نفسي في البيان بقيود تشق عليكم وأمشي مقيداً بها معكم في طريق البيان الذي تسلكونه فأسبقكم وأنا مقيد.

فلماذا لا يجوز أن نقول: إن الذي حمل أبا العلاء على تقييد نفسه بهذه القيود هو هذا، لا ما يقوله الدكتور من أنه أراد أن يملأ بها فراغ أوقاته لاهياً لاعباً.

ج ـ إن الذي تركه لنا أبو العلاء من آثاره المقيدة بهذه القيود والتي هي محصول خمسين سنة من أيام عزلته ـ كما يقول الدكتور ـ كتابان أولهما الفصول والغايات... وثانيهما ديوان اللزوميات وهذان الكتابان ـ وإن كبرا ـ لا يملآن فراغ أوقاته التي كانت خلال خمسين سنة...

د ـ على أن شعر أبي العلاء في لزومياته لم يكن مما يشق على قارئيه، وإن كانوا أقل الناس ثقافة في العربية، بل فيه شيء كثير من الشعر الذي يكون معناه إلى الفهم أسبق من لفظه إلى السمع...

كقوله مثلاً:

وما دان الفتى بحجى ولكن ... يعلمه التدينَ اقربوه

وينشأ ناشىء الفتيان منا ... على ما كان عوده ابوه

وكقوله:

قد تمادت على الفساد البرايا ... واستوت في الضلالة الأديان

إلى غير ذلك من الشعر الذي تمتلك ألفاظه الأسماعَ بفصاحتها، ومعانيه النفوسَ ببلاغتها.

هـ - ومما يجب التنبيهُ إليه أن هذه الصنعة اللفظية - أعني لزوم ما لا يلزم لا تتجلى في البيت وحده، فإنك إذا نظرت في كل بيت على انفراده لم تشعر فيه بلزوم ما لا يلزم، وإنما يظهر ذلك فيه بالنسبة إلى ما قبله وما بعده من الأبيات...

و - الفرق بيننا وبين الدكتور هو أنه جعل الفراغ مع العبث أصلاً لايجاد اللزوميات وجعل إظهار المقدرة على البيان والسيطرة على اللغة فرعاً مترتباً على إيجادها. أما نحن فننفي هذا الأصل بتاتاً ونقول بأن ما جعله فرعاً هو الأصل لا غير...

ز - إن أبا العلاء في لزومياته لا يخاطب السواد الأعظم من عامة الناس، وإنما يخاطب أهل العلم والأدب.

ومن ذا الذي حظر على الشعراء أن يستعملوا مصطلحات العلوم في أشعارهم؟

ح - وقد رأيت الدكتور قال في الصفحة ١٣٤ من كتابه:

"فكان أول ما أنتج هذا التكرار والإعادة اللذين ينتهيان بالقارىء إلى ملل وسأم...".

أما نحن فنخالف الدكتور في قوله هذا، فنقول - قبل كل شيء - إن المتكرر في اللزوميات هو الموضوع لا المعنى... ذلك لأن كل موضوع من مواضيعها يشتمل على معان مختلفة تجتمع كلها تحت ذلك الموضوع.

ط - (ونحن) لا نسلم أنه ينتهي بقارئه إلى ملل وسأم... اللهم إلا إذا جرى الشاعر في تكراره على منحى واحد من مناحي البيان، وئاسلوب واحد من أساليب البلاغة، أما إذا تفاوتت العبارات، واختلفت الأساليب، وتفننت التعابير فلا.

(ويضرب مثلاً على ذلك القرآن الكريم).

ثم يقول:

ومن النادر أن تجد في السورة موضوعاً لم يتكرر في غيرها كقصة يوسف وكقصة أصحاب الكهف...

فالقول بأن التكرار ينتهي بقارئه إلى ملل وسأم على الإطلاق غير صحيح.

ي ـ أما المواضيع التي يتكلم بها أبو العلاء في اللزوميات فكثيرة... ولم أقف له على رأي في موضع من اللزوميات لم يتكرر في موضع آخر... وقد أحصيت تلك الآراء فكانت نيفاً وثلاثين رأياً، كل واحد منها يؤلف موضوعاً مستقلاً عن غيره...

ك ـ ونريد هنا أن نتكلم على عيوب أخرى عاب بها الدكتور قصائد اللزوميات، منها فقدان "الوحدة المعنوية" فيها.

وبعد هذا نسأل: هل يعد فقدان الوحدة المعنوية في قصائد اللزوميات عيباً من عيوبها؟ ـ كما يقول الدكتور ـ أما نحن فلا نوافق الدكتور على أنه عيب، بل ندعي خلاف ما يقول، فنقول: إن ذلك في اللزوميات جدير بأن يعد حسناً من تحاسينها، وسراً من أسرار تلذذ القارىء بقراءتها.

من المعلوم أن للقرآن موضوعاً واحداً عاماً يدور عليه محور الكلام في جميع الآيات القرآنية، وهو (التوحيد والشرك) ولا ريب أن جميع مواضيع القرآن غير مرتبة ولا مبوبة، بل تأتي متفرقة في جميع سوره من أوله إلى آخره...

ل ـ إني أظن أن الدكتور نظر إلى ديوان اللزوميات نظره إلى غيره من دواوين الشعراء، ولما كان الغالب على قصائد الشعراء أن تكون ذات موضوع واحد جعل خلو قصائد اللزوميات من ذلك عيباً فيها.

إن شعر اللزوميات إنما صدر عن نفس ساخطة، وعقل حائر، وفكر ثائر،

وذهن متوقد، وحياة مظلمة ذات عاطفة مستنيرة ملتهبة، جياشة بالإحساس والشعور، وشعر، هذا مصدره، لا يكون إلا شرراً متطايراً في جميع الأنحاء لا يقف عند شيء، ولا يستمر إلى جهة...

الرد على طه حسين:

يمكن أن نعتبر كتاب معروف الرصافي (على باب سجن أبي العلاء) رداً دقيقاً موضوعياً على آراء الدكتور طه حسين في كتابيه، وأريد ـ مع ذلك ـ أن أضيف هذه الفقرات :

أتساءل أولاً هل كان أبو العلاء يلهو ويعبث حين نظم اللزوميات؟ ما أظن.

١ ـ أيعبث من قبع في عقر بيته وحرم نفسه لذات الحياة، وحمل أغلال سجونه الثلاثة؟

أيعبث من أبدى رأيه الحر في الأديان والمذاهب وعرض نفسه للتكفير والمطالبة بقتله؟

أيعبث من جاهر بأن الأمراء ظلموا الرعية واستجازوا كيدها، وعدوا مصالحها وهم أجراؤها فعرض رأسه لسيف الجلاد؟

أيعبث من تجرأ فهاجم هجوماً قاسياً ما في طباع الناس من غش ورياؤ وكذب فعرض عرضه لألسنتهم الحداد؟

وهل أشد وأقسى على الشاعر الذي تجرأ على مهاجمة المذاهب والحكام والناس جميعاً، وهو قابع في قبوه المظلم، يذيب قلبه في شعره من أن تقول له: شعرك هذا لهو ولعب وعبث؟

٢ ـ وكيف يقول الدكتور إن من الممكن اختصار اللزوميات في مجلد نحيف يجمع إلى الجمال خلاصة الفلسفة العلائية.

ونحن الذين نتمنى أن تطول آثار المعري وأن نعثر على ما لم يصل إلينا منها، كيف نريد حذف أكثر ما ورد فيها، علاوة على أننا نعتبره كله آية في الشعر والفلسفة معاً.

إن أبيات الشاعر مثل أبنائه، وإذا كان المعري حرم الأبناء فلا أقل من أن نصون شعره ونحفظه في أبياته، وكيف يطيق الأب موت الأبناء والشاعر قتل القصائد؟

٣ ـ وأقرر ـ في الوقت نفسه ـ أن الدكتور أحسن كل الإحسان في إعجابه بقصائد من (سقط الزند) ولا سيما بالقصيدة الدالية، وأخطأ كل الخطأ في حملته على اللزوميات أو على أكثرها.

لقد عبر بنا زمان كنا نظن فيه أن طه حسين أحيا أبا العلاء وأحسن إليه، ولكنا الآن نرى أنه ـ إن لم يسىء إليه ـ فلم يفه حقه.

٤ ـ وأريد على الخصوص أن أعلق على رأي طه حسين حين قال:

فأولها العبث بالنحو أو بالصرف إن شئت أو بهما جميعاً وأيسر الأمثلة لهذا العبث بيتاه المشهوران:

ما لي غدوت كقاف رؤبة قيدت في الدهر لم يقدر له إجراؤها

أعللت علة قال وهي قديمة أعيا الأطبة كلهم إبراؤها

وليس في هذين البيتين وأمثالهما لهو ولا عبث وإنما فيهما الجد كل الجد والفطنة للعلاقات بين الأشياء أدق الفطنة.

١ ـ لقد رأى المعري نفسه مقيداً حبيساً في سجنيه: العمى والبيت، بل حبيساً في سجونه الثلاثة، العمى والبيت والروح في الجسد الخبيث، فاستغل معرفته بالشعر ورأى في (قافيَّة) رؤبة الساكنة مثالاً يضربه لنفسه وهو في قيوده، وفي ذلك تمثيل موفق ومعرفة دقيقة لعلاقة قيده بقيد قصيدة رؤبة فضربها مثلاً لنفسه.

٢ ـ ورأى المعري نفسه عليلاً علة دائمة ونظر إلى اللغة فاستغل معرفته

بالصرف ورأى أن (قال) وأمثالها ذات علة قديمة فشبه علته بها وعرف أن الأطباء لا يشفونه منها كما أن النحاة والأدباء لا يشفون (قال) من علتها:

ولقد وفق في التشبيهين توفيقاً تاماً وأصاب، ومن حرم على الشعراء اللجوء إلى ذخائرهم اللغوية؟

٣ ـ ولماذا نحن لا ننكر استغلال أبي تمام الطائي للنحو حين قال في وصف الخمر:

خرقاء يلعب بالعقول حبابها

كتلاعب الأفعال بالأسماء

(الديوان: ٣).

ثم ننكر على أبي العلاء استغلاله للنحو أو الصرف أو الشعر أو لها جميعاً؟ وكلها مصادر ثمينة للشاعر إذا أحسن استخدامها، كما فعل أبو العلاء وأبو تمام.

٥ ـ الجامع في أخبار أبي العلاء لـ (محمد سليم الجندي):

ويقع الكتاب في ٣ مجلدات، أصدرته وزارة الثقافة بدمشق. ولعله أكثر الكتب القديمة والحديثة معاً إحاطة بأخبار المعري على العموم، وبحثاً في شاعريته على الخصوص.

وأعترف سلفاً أني اعتمدت عليه في كثير من عناصر هذا البحث...

وإليكم بعض ما ورد في هذا الكتاب النفيس في إيجاز::

قال الأستاذ الجندي ـ رحمه الله:

.. هالني من (آثاره وأشعاره أمران:

١ ـ ألفاظ أبي العلاء ومعانيه.

٢ ـ تألب العلماء والأدباء عليه والدعوة السيئة للتنفير منه.

(١) ألفاظ أبي العلاء ومعانيه:

أ ـ الأمر الأول ما رأيته في كلامه من الدقة في استعمال الكلمات وإحكام وضعها في المواضع اللائقة بها، ومن قوة التأليف مع طلاوة وانسجام، وكثرة المعاني المبتكرة، وروعة الصور المتخيلة، ووفرة الأمثال والحكم، والتلميح إلى مصطلحات علوم عدة، وحوادث تاريخية.

الجامع ١: ٢ .

ب ـ ومن غريب ما رأيته من قدرته وتفننه تصغيره المعنى الكبير وإفراغه في قالب موجز مصقول واف بالمقصود، كما يتراءى ذلك في قوله من أبيات يصف فيها خرقاً ـ أي فلاة واسعة ـ

وتكتم فيه العاصفاتُ نفوسها فلو عبثت بالنبت لم يتاودِ

فقد صغر العاصفات، وأضعف تأثيرها وأفرغ هذا المعنى الضخم في هذا البيت السهل المنسجم وأبدع في قوله (وتكتم: ...)

ولا يقل عنه في ذلك قوله من أبيات يصف فيها منهلاً:

يمر به رادُ الضحى متنكراً مخافةً ان يغتاله بقتامه

فإنه جعل الضحى متنكراً يخفي نوره مخافة اغتياله، وأمثال هذا كثير في شعره.

ج - ومن الغريب أيضاً، الكثير في كلامه، انتزاعه من الأشياء القريبة التي لا يكترث بها غيره، معاني عالية أو استعمالها في أغراض عالية كالحكمة والتشبيه، وما أشبههما، فانظر إلى المعاني التي انتزعها من الإنسان وأعضائه حيث قال في العين:

أحسن جواراً للفتاة وعُدّها اختَ السماك على دنو الدار

كتجاور العينين لن تتلاقيا وحجاز بينهما قصير جدار

* * *

والنجم تستصغر الأبصارُ رؤيته والذنبُ للطرف لا للعين في الصغر

ثم يضرب الأستاذ الجندي أمثلة في الجفن، والأذن والريق والنواجذ والقلب، واليد والظفر والجلد والأنفاس، والشيب، والجسم، ولولا خوف الإطالة لأوردت كل ما ذكر، فمن أراد الزيادة فليراجع الجامع.

(الجامع ١ : ٣ . ٥).

د ـ ومن الغريب ايضاً انتزاعه الحكمة أو المثل من أصغر شيء وأتفهه إلى أكبر شيء وأعظمه، الأمثلة....

(الجامع : ٥ . ٦).

هـ ـ ومن الغريب أنه يذكر الكلمة التي لها أكثر من معنى واحد، ويريد بها معنى معيناً، ولكنه يذكر شيئاً من خصائص معنى آخر ليوهم أنه يريده، الأمثلة...

ولو استقرينا ما في أقواله التي أتيح لنا الوقوف عليها من هذا النوع لتحصل لنا منه ديوان واسع جامع لأنواع مختلفة من الحكم والأمثال والتشبيهات الرائعة، والصور الخيالية، ونحو ذلك من أفانين الشعر وبدائعه:

(الجامع ١ : ٦ . ٨).

(٢) تألب العلماء والأدباء عليه والدعوة السيئة إلى شعره للتنفير منه (ولا ضرورة لإيراد هذا البحث في موضوع (شاعرية المعري).

وننتقل إلى مقدمة المؤلف، ونورد كلمة منها:

- ولا أعرف أحداً من شعراء العرب أجدر بلقب (الشاعر العالمي) من أبي العلاء.

(الجامع ١ : ١٥).

ويتحدث المؤلف عن أخلاق المعري في فصل عنوانه (الجامع في أخلاقه وسيرته):

ونورد بعض ما ذكره من هذه الأخلاق:

الصبر

قناعته وعفافه

لين جانبه

طهارة يده وذيله ولسانه

زهده

حياؤه

صدقه

جرأته

وفاؤه واعترافه بالجميل

تواضعه

كرهه للظلم

رأفته ورقة قلبه

رأفته بالإنسان

الإخلاص

(إنكاره) للرياء

(إنكاره) للنفاق

ويفصل المؤلف هذه الأخلاق معتمداً على سيرة أبي العلاء أولاً وعلى شعره ثانياً.

(الجامع ١ / ٣٢٧ . ٣٨١).

ثم يعود مرة أخرى إلى الحديث عن شعره في فصل عنوانه:

الشعر عند أبي العلاء:

وقد عرفه (الشعر) أبو العلاء تعريفاً غاير فيه طريقة من قبله... فقال: "الشعر كلام موزون تقبله الغريزة، على شرائط إن زاد أو نقص أبانه الحس".

(الجامع : ٢ :٩٠٩ نقلاً عن
رسالة الغفران : ١٤٨).

رأي أبي العلاء في معاني الشعر ومقاصده وفنونه:

زعم بعض العلماء أن الشعراء المتقدمين ما تركوا باباً من أبواب الشعر إلا ولجوه، ولا غرضاً من أغراضه إلا وقد تناولوه وافتنوا به، ويلخص آراءهم في هذا الموضع قول بعضهم: ما ترك الأول للآخر شيئاً...

وذهب المحققون من المتقدمين والمتأخرين إلى أن الشعر بحر لا ينكش ومعين لا ينضب، وأن المعاني الشعرية لا تحد ولا تنفد، والصور الخيالية لا تنقطع مادتها، ولا تنحصر أشكالها.

وأبو العلاء من أصحاب هذا الرأي...

ولقد أعرب عن رأيه وأيده بأسلوب رائع... في (رسالة الغفران: ٩٢).

(ثم يورد نص رسالة الغفران (الجامع : ٩١٥ ـ ٩١٦) ويتابع الجندي قوله:

فكلامه هذا صريح في أن الشعراء الذين كانوا في عهد زهير وامرىء القيس،

ومن تقدمهم لم يأتوا من أبواب الشعر وأغراضه وأخيلته وصوره إلا بالنزر اليسير بالنسبة لمن جاء بعدهم في عصر الإسلام والعصور التي تلته...

ويسجل المؤلف موقف المعري من الأوزان والقوافي والألفاظ وخصائص شعره في فصل ذي عناوين عدة:

الوزن والقافية:

ليس في شعراء العرب عامة من المتقدمين والمتأخرين من يساوي أبا العلاء أو يدانيه في معرفة الأوزان والقوافي ومعرفة الجائز والممتنع منها... وليس في شعره كله على كثرته ما يخل بشيء من أحكام الأوزان والقوافي...

الغريب في شعره:

ولعل قائلاً يقول: إن المعري كان يكثر من استعمال الغريب في شعره ونثره، ونحن لا ننكر وجود الغريب في كلامه، ولكن أكثر ما نراه غريباً في عهدنا هذا لم يكن غريباً في عصر أبي العلاء، لأننا في حكم الأعاجم، لا نعلم من الفصيح والمأنوس إلا النزر اليسير...

ويتحدث بعد ذلك عن بعض أنواع الفن والبلاغة في شعر أبي العلاء:

التشبيه

الاستعارات

الكنايات

الأمثال والحكم

المعاني المبتكره

ونوجز بعض ما قال المؤلف في هذه الخصائص:

١ ـ التشبيه:

قال بعض العلماء: التشبيه أشد ما تكلف الشاعر صعوبة، لما يحتاج إليه من شاهد العقل واقتضاء العيان وليس بغريب أن نرى أبا العلاء مجوداً بارعاً في التشبيه الذي لا يتوقف على المشاهدة بحاسة البصر كقوله:

إذا أُلِف الشيءُ استهان به الفتى
فلم يره بؤسى تعدّ ولا نعمى
كإنفاقه من عُمره ومساغه
من الريق عذباً لا يحس له طعماً

وإنما الغريب أن نجد في تشبيهاته المحسوسة من الدقة والإحكام وتصوير الحركة والألوان ما يعجز عنه البصراء كقوله:

سبحان من خلق النجوم كأنها در طفا من فوق بحر مائج

* * *

وكل أبيض هندي له شُطُب مثل التكسر في جارٍ بمنحدرِ

وأما التشبيه بالأمور المعنوية ففي كلامه كثير من الصور النادرة والطرق الرائعة كقوله:

والخل كالماء يبدي لي ضمائرَه مع الصفاء ويخفيها مع الكدرِ

٢ ـ الاستعارات:

وفي أشعاره من أنواع الاستعارات صور بديعة جمعت إحكام التشبيه إلى رقة الأسلوب، وطيب النبرات، من ذلك قوله في السيف وفرنده:

ودبت فوقه حمر المنايا ولكن بعد ما مسخت نمالا...

٣ ـ الكنايات:

وفي كلام أبي العلاء أمثلة رائعة وصور بديعة عن الكنايات اللطيفة الواضحة والمستعذبة كقوله يكني عن عظم الممدوح:

ولو تقدم في عصر مضى نزلت في وصفه معجزاتُ الآي والسورِ

وقوله يكني به عن أن قوم الممدوح ملوكٌ لا رعاة وأنهم كرماء أعزاء:

يا بن الأولى غيرَ زجر الخيل ما عرفوا
إذ تعرف العربُ زجرَ الشاء والعكرِ[1]

وقوله يكني عن بعد الغور وعمقه:

ومُزيرها الغورَ الذي لو سلمتْ
ريحُ على أرجانه لم تسلمِ

وقوله يكني به عن خفة الإبل وسرعتها في سيرها:

ولو وطنت في سيرها جفنٌ نائم بأخفافها لم ينتبه من منامه.

٤ ـ المعاني:

شعر أبي العلاء معرض عام، اجتمع فيه من كل نوع من المعاني طائفة صالحة، والغالب على معانيه في (السقط) الوضوح والجلاء، وفيها ما يحتاج في فهمه إلى دراسة علم ومعرفة بالتاريخ...

ومنه قوله:

فصَّرفني فغيَّرني زمان سيعقبني بحذف وادّغام

---

(١) الإبل.

وقوله:

وقد يجتدى فضل الغمام وإنما من البحر فيما يزعم الناس . يجتدي

ومن الثاني قوله:

إذا وصف الطائيَّ بالبخل مادر وعيرً قسا بالفهاهة باقل

٥ ـ المبالغة:

وفي شعر أبي العلاء في (سقط الزند) صور مختلفة من الأنواع الثلاثة (المبالغة والإغراق والغلو)، منه ما هو مقرون بأداة تقربه إلى القبول ومنه ما تضمن معنى حسناً من التخييل يجعله مقبولاً كقوله:

تكاد قسيُه من غير رام تُمكِّن في قلوبهم النبالا

تكاد سيوفُه من غير سل تُجِدُّ إلى رقابهم انسلالا

٦ ـ البديع في شعره في السقط:

لأبي العلاء ولع شديد بالبديع، ولا سيما الجناس والطباق والتورية ولعله كان يتعمد ذلك وتساعده على إتقانه وإحكامه غزارة لغته وسعة علمه وحفظه.

ويضرب المؤلف أمثلة كثيرة من شعر المعري، تمثل حسن المطلع والالتفات والجناس التام، والجناس المحرف، والجناس المركب ومراعاة النظير، والتسميط، وحسن التخلص والتصدير أو رد العجز على الصدر وحسن التعليل وحسن الاتباع والتلميح والتورية والاستخدام والمدح في معرض الذم، والتجريد والإرصاد أو التسهيم، والإشارة والافتنان والاقتباس والتصريع والإيجاز، ونكتفي بالإشارة إليها دون أمثلتها التي أوردها الأستاذ الجندي.

(الجامع : ٩٣٥ ـ ٩٤٤).

وينتهي المؤلف إلى القول إن أبا العلاء شاعر خنذيذ[1].

وأنه معرق في الشعر ومن بيت شعر.

ويضعِّف الجندي رأي طه حسين في أطوار الشعر عند المعري، ويستشهد على بطلان رأيه بالاعتماد على شعر أبي العلاء وإيراد الشواهد ثم يقترح تقسيماً قريباً من القبول والصحة ويقسم شعره إلى عهدين:

ـ الأول : شعره من أول حياته الشعرية إلى حين رجوعه من بغداد، ومدة هذا العهد نحو سبع وثلاثين سنة.

ـ الثاني: شعره بعد رجوعه من بغداد إلى نهاية عمره، ومدة هذا العهد نحو تسع وأربعين سنة.

ويتحدث بعد ذلك عن خصائص شعر المعري في هذين العهدين وما قاله فيهما.

(الجامع ٢ : ٩٥٨ . ٩٨٤).

ويرد على صاحب (الذكرى) رداً طويلاً يقع في ١٢ بنداً لا نرى ذكرها اختصاراً ويعقد المؤلف فصلاً عنوانه:

هل أبو العلاء فيلسوف؟

وهذا بعض ما جاء في هذا الفصل:

"وقد اختلفت كلمة المتأخرين فيه، فذهب كثير من المستشرقين إلى أنه شاعر فيلسوف، وذهب فريق إلى أنه جمع بين الوصفين.... وفريق منهم يعده من أعظم فلاسفة الأخلاق، وفريق منهم جعله شاكاً حيران، ومنهم من زعم أن آثاره خالية من المنهج الفلسفي وأن أفكاره غير منسَّقة.

---

[1] الخنذيذ: الشاعر المنقح المفلق.

وكذلك اختلفت كلمة المتأخرين من العرب فيه، وتفاوتت آراؤهم فيه على قدر تفاوتهم في فهم كلامه وإدراك مراميه.

فمنهم من جعله شاعراً فيلسوفاً وأعجب بآرائه الفلسفية التي اشتمل عليها (لزوم ما لا يلزم)... كما أعجب بشعره (فيه) ورأى في (كتبه) من المعاني الفلسفية والصور الخيالية والصياغة الفنية. ما جعله يعد أبا العلاء فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة والحكماء.

ومنهم من قصَّر فهمه عن فهم كلام أبي العلاء وإدراك ما يرمي إليه في غضون كلامه لضعف لغته وكثرة ما يحتاج إليه من الجهد في سبيل إدراكه فلم يصرح بذلك حتى لا يوصم بالجهل أو لا يظن أنه عربي النسب أعجمي اللغة، فأخذ ينتقد شعر المعري ويصمه بأن فيه تعقيداً، وأن فيه تكلفاً، وأن أفكاره مشتَّتة لم يجتمع كل نوع منها في باب واحد..

ثم يستطرد فيقول:

ومقدمة هذا الكتاب (لزوم ما لا يلزم) تبلغ نحو خمس وثلاثين صفحة، وهي تدل دلالة قاطعة على أن هذا الكتاب كتاب شعر لا كتاب فلسفة متقن، وإذا كان الأمر على ما ذكرنا فلا يسوغ لنا أن نطالب المعري بتنسيق آرائه، وترتيب أفكاره الفلسفية وجمع كل منها تحت عنوان واحد..

ونحن لا ننكر أن المعري استعمل بعض الكلمات القليلة التداول، وغير المأنوسة بالنسبة إلى غيره، ولكنه استعملها على وجه صحيح، وأسلوب فصيح فلا يصح أن نجعلها عيباً نحطُّ به من قيمة شعره الذي لا يستطيع كثير من الناس أن يجاريه فيه...

والكتاب (لزوم ما لا يلزم) كتاب أدب وشعر فيه فلسفة، لا كتاب فلسفة...

(الجامع ٣ : ١٢٤٥ .
١٢٤٩).

وتأتي بعد ذلك فصول وفقرات كثيرة عن مصادر فلسفة أبي العلاء وعن آرائه في العقل والمادة والزمان والمكان، والكون والنجوم، والإله وصفاته، والجبر والإرادة والروح والموت، والنبات والجماد والتناسخ والجن والملائكة والأنبياء والأديان والحياة والأساطير والكتب الإلهية والفرق الإسلامية والنشر والحشر والتنجيم، والزهاد والوعاظ والنساك والقراء، والخطباء والفقهاء وأهل الكلام والأدباء والنحاة والناس جميعاً، وعن محاولة المعري إصلاح الناس واخفاقه فيها، والمرأة والزواج والنسل، والسياسة والرؤساء والملوك والولاة والدنيا...

وأكثر هذه الموضوعات لا تكاد تتعلق ببحثنا الأصلي، ولكن يهمنا منها ثلاثة عناصر تتعلق بشاعرية المعري:

أ ـ المعري والناس ورفقه بهم (عاطفته الإنسانية):

... إن أبا العلاء درس أحوال الناس وأطوارهم وقتلهم علماً واختباراً، فكان مما رآه فيهم أن فريقاً منهم قضت عليه الأيام أن يكون أسيراً في يد غيره.. أو فقيراً يضطر إلى أن يمتهن نفسه ليسد رمقه... أو ضعيفاً... أو مبتلى بعاهة... أو نكد الحظ... أو يتيماً... أو عاجزاً.

وأن السالمين من هذه العلل قد نزع الله الرحمة من قلوبهم فحضّ على الرفق بالعبيد والخدم... وبالفقير وبالضعيف.. وبالمعتر.. وباليتيم..

(الجامع : ٣ :١٥٨٢).

فقال في الرفق بالعبيد:

إذا كسر العبدُ الإناء فعدّه اذاةً له: إن الإناء إلى الكسر

رقيقُك أسرى في يديك فلا تكن غليظاً عليهم واتقِ الله في الأسر

وقال في الرفق بالفقير:

وانبذ إلى من تشكى قرة سملا من الثياب، وأورد ظامناً سملك[1]

وقال في الرفق بالضعيف:

أكرم ضعيفك والآفاق مجدبة ولا تهنه ولو أعطيته القوتا

وفي الرفق بالمعتر:

إذا أوتيتَ ملءُ يد طعاماً فاطعمْ من عراك ولو كظفرِ[1].

وفي اليتيم:

أنصف يتيمك في التراث ولا تأخذه بالإعنات والقهر

وفي الأعمى:

إذا مر أعمى فارحموه وأيقنوا، وإن لم تكفوا أن كلكم أعمى.

وفي الأعمى والأصم:

تصدَّق على الأعمى وخذ بيمينه لتهديَه وارفقْ بإفهامك الصما

---

(١) بقية الماء

(٢) الشيء القليل

وفي الرفق بالمؤمن:

انجد اخاك على خير يهم به فالمؤمنون لدى الخيرات انجاد

(الجامع ٣ :١٥٨٣ . ١٥٨٦).

المعري والحروب:

ولشدة حبه الرأفة بالإنسان، والرفق به، كره الحروب لما فيها من إراقة دماء وتمزيق أشلاء وتعذيب نفوس، وعد ذلك كله من السفه والجهل والظلم ونهى عن شهر الحسام... فقال:

فإن ترشدوا لا تخضبوا السيف من دم

ولا تلزموا الأميال سبر الجرائح

* * *

ولا تشيمن حساماً كي تريق دما كفاك سيف لهنا الدهر ما غمدا[1]

المعري والاشتراك:

ومن آثار محبته الرفق والرأفة اعتقاده أن للفقير حقاً في مال الغني...

وأكثر كلامه مغمور بالشعور الإسلامي:

إنا وهب الله لي نعمة افدت المساكين مما وهبْ

* * *

واحسب الناس لَو ادوا زكاتهم لما رايت بني الإعدام شاكينا

---

(١)تشيم : تجرد

فإن تعش تبصر الباكين قد ضحكوا والضاحكين لفرط الجهل باكينا

* * *

لا تجمعوا المال واحبوه مواليه فالممسكون تراث كل ما جمعوا

* * *

بل إن رفقه بالإنسان دفعه إلى الرفق بالحيوان:

أحسن إلى الناقة الوجناء تبعثها فيما تشاء وأكرِمْ عشرة الفرس

وبالطير:

تصدقْ على الطير الغوادي بشربة من الماء واعددها أحقَّ من الإنس

وبالبرغوث:

تسريح كفي برغوثاً ظفرتُ به أبر من درهمٍ تعطيه محتاجاً

ذبح الحيوان

علمنا أن أبا العلاء امتنع عن أكل الحيوان، لأنه لا يوصل إلى أكله إلا بإيلامه، بذبح أو نحوه. وعلى هذا لا ننكر عليه أن ينهى عن قتل الحيوان كما نهى عن قتل الإنسان فيقول:

فلا ترهف مُدى لعبيط نحضٍ[1] ولا تشهَر على قِرن صقيلا

(الجامع ٣ : ١٥٨٣ . ١٥٩٤).

---

(١)اللحم الطازج.

ب ـ المعري والأخلاق:

تناول أبو العلاء هذه الناحية بكثير من العناية والاستقراء، حتى لا نكاد نجد قصيدة له خلواً منها، ولم يدع ناحية إلا وألم بطرف منها، وقد نبهه اضطراب الحياة السياسية، والاجتماعية والدينية إلى ما انطوى عليه الناس من الأخلاق الذميمة... وإليك طرفاً منها:

ومن يفتقذ حال الزمان واهله يذم بهم غرباً من الأرض او شرقا

تجد قولهم ميناً، وودهم قلى وخيرَهم شراً وصنعتَهم خُرقا

وبشرَهم خدعاً وفقرَهم غنى وعلمَهم جهلاً وحكمتَهم زرقا

ومنها:

متى كشّفت اخلاق البرايا تجد ما شنت من ظلم وحرجِ

واشرف من ترى في الأرض قدراً ليعيش الدهر عبد فم وفرج

.....

وبيعت بالفلوس لكل خزي وجوه كالدنانير الحسان

.....

عرب وعجم دانلون وكلنا في الظلم اهل تشابه وجناس

.....

والناس مثل سوام لا حلوم لهم يسوقه للمنايا سانق حُطَم

.....

وأكثر الناس مثل الذئب تصحبه إذا تبين منك الضعفَ أطمعه

.....

وجعل الجماد خيراً منهم في مثل قوله:

الوحش في الفلوات أحسنُ عشرة

للمرء من أهليه في الأمصار.

وجعل الحيوان أفضل من أفضلهم في قوله:

أفضل من أفضلهم صخرة لا تظلم الناس ولا تكذب

(الجامع ٣ :١٥٩٥ . ١٥٩٩).

ج - المعري والسياسة:

لا أذكر أني رأيت في كلام أبي العلاء ما يدل على مذهبه الصريح في المُلك. هل يكون بالوراثة أو البيعة أو الشورى أو التغلب أو الدهاء أو غير ذلك، وقد يشير بكلامه إلى شيء من هذه الصور.

ويمكن أن يلخص كلامه في :

الأول: حق الرعية على الرعي

الثاني: حق الراعي على الرعية

ونكتفي بالقسم الاول لأنه يتعلق بموضوع البحث.

حق الرعية على الراعي:

يعتقد المعري أن الملك أو الأمير خادم للرعية، فيجب عليه أن يقوم بما يعود عليها بالعوائد الحسنة بصدق وإخلاص:

إذا ما تبينا الأمور تكشفت لنا وامير القوم للقوم خادم

وليس له أن يستعمل ما استمده منها من القوة والسلطان في مصالح نفسه وخلصائه، ولا أن يتعدى الحدود التي أقامها له الشارع، أو اختطتها له الرعية، وعلى هذا الأساس نقم على أمراء زمانه. لما جاوزوا تلك الحدود واستجازوا كيد الأمة، ورغبوا عن مصلحتها إلى مصلحتهم، وتوهموا أن الأمة ملك لهم يتصرفون بها تصرف المالك بالحيوان أو السلعة.

ولعله أول شاعر استثار سخط الأمة على أمرائها، وعرفها أن الأمراء أجراء، والأجير يجب أن يعمل لمصلحة مستأجره، فإذا أخل بذلك استحق العزل والطرد. ولم أر شاعراً اجترأ على ملوك زمانه، وأماط النقاب عن مخازيهم مثل أبي العلاء، وقد يتراءى ذلك في مثل قوله:

مل المقام فكم اعاشر امة امرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم اجراؤها

.....

أما الرؤساء فإنهم تولوا الرئاسة بالمكر والدهاء لا بالكفاءة والإخلاص.

.....

وأما الملوك فإنهم:

ملكوا فما سلكوا سبيلَ الرشد بل ملأوا الديار ضواريا ومزاهرا

وأما الأمراء فقد قدر الله على الناس أن يكون لهم:

بكل ارض امير سوء يضرب للناس شر سكه

ولم ينل أحد منهم الإمارة من طريق شريف ولا عن عمل محمود، بل الأمر بالعكس:

فاميرهم نال الإمارة بالخنا وتقيهم بصلاته يتصيد

وأما الولاة فإنهم ذئاب مسلطة على رعية أذل من نقد وأصبر على الضيم من وتد:

ولاة العالمين ذئاب خطل تكون من الشقاء رعاة فزر[1]

وصفوة القول: أنه لم ير في ولاة الأمر من ملوك وأمراء ووزراء ونحوهم من يستحق أن يحمد، وإنما هم بين زير نساء وعبد فرج، وجابي خرج، وذئب خاتل وشيطان مسلط، استباحوا من أموال الناس وأعراضهم ما حرم الله. ولم تعرف قلوبهم الرحمة ولا الخشية من الخالق...

.....

ويعتقد أن النوع الإنساني كالجسم الواحد، وكل فرد منه بمنزلة عضو من ذلك الجسم، له وظيفة يجب أن يقوم بها، فمصالح هذا الجسم مشتركة بين أعضائه وكل عضو يخدم نفسه بما يخدم به غيره، ولا يسد غيره مسده فيه:

والناس للناس من حضر وبادية بعض لبعض، وإن لم يشعروا خدم

وكل عضو لأمر ما يمارسه لا مشي للكف بل تمشي بك القدم

.....

ما أجهل الأمم:

يدعون في جمعاتهم بسفامة

لمليكهم، فيكاد يبكي المنبر

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن رأي المعري في الدنيا وفي الحظ، وفي

---

(١)الفزر: الجدي ... والقطيع من الغنم...

الصمت والنطق والحسد والمال والخمر، وأرى أن نكتفي بما ذكرنا من كتاب الجامع في أخبار أبي العلاء.

رأي في الكتاب

١ ـ قلت عندما بدأت في نقل المقاطع المتعلقة بشاعرية المعري في (الجامع في أخبار أبي العلاء):

لعله أكثر الكتب القديمة والحديثة معاً في الإحاطة بأخبار أبي العلاء على العموم ـ والبحث عن شاعريته ـ على الخصوص.

وأنا بعد أن أعدت قراءة الكتاب ولخصته: لا أقول: لعل، بل أقول: من المؤكد.

٢ ـ آراء المؤلف مدعومة دعماً كافياً بالشواهد من شعر أبي العلاء وكلامه... بل ربما طالت هذه الشواهد أحياناً.

٣ ـ أحكامه صحيحة ودقيقة وموضوعية.

٤ ـ دفاعه عن المعري دفاع عالم وأديب فهمه حق الفهم، وليس ذلك لأنهما من بلد واحد هو "المعرة".

٥ ـ بحثه عن شاعريته بحث واف وواسع بل هو أوسع وأحسن بحث قرأته حتى الآن.

٦ ـ رده على طه حسين وغيره من الذين كتبوا عن المعري رد حاسم متزن، يوضح ولا يجرح.

٧ ـ قد يظن القارىء أني أطلت الأخذ من الكتاب، ولكنه لو عاد إليه وقرأه لتبين له أني اختصرت بل ربما أخللت.

تلك هي أهم الكتب التي خصت أبا العلاء بالبحث، أما سائر الكتب فينصب جل اهتمامها على سيرة المعري وعقيدته وقل أن تتعرض للفن في شعره.

ط ـ شعر المعري
في الكتب الأدبية العامة المعاصرة

وأهم هذه الكتب كتاب "الفن ومذاهبه في الشعر العربي" لأستاذنا الدكتور شوقي ضيف، وهذه مختارات من حديثه عن الفن في شعر أبي العلاء أورده في فصل التعقيد في التصنيع) من ص ١٨٧ ـ ٣١٦ .

١ ـ وحقاً كان أبو العلاء مثقفاً ثقافة لغوية واسعة، وقد كان يضيف إليها هذا الخليط المضطرب من ثقافاته الكثيرة، وخاصة ما اتصل بالثقافة الفنية في الشعر، إذ كان يعنى عناية شديدة بجمع الأفكار والصور القديمة وحشدها في أشعاره وكتاباته... وكأنه كان يؤلف شعره للمثقفين خاصة...

(الفن: ص ١٨٩).

٢ ـ بدأ أبو العلاء حياته الفنية في الشعر بتقليد المتنبي، إذ كان يتعصب له تعصباً شديداً، (وسقط الزند) هو خير ما يفسر هذا الطور من تقليده...

(الفن: ٢٩١).

٣ ـ وما يزال أبو العلاء على هذه الحال من التقليد حتى يتبين نفسه فيستقل ويؤلف لزومياته وهي من طراز جديد.

٤ ـ إذا أردنا أن نبحث عن أصول الأفكار في اللزوميات وجدناها جميعاً عند المتنبي.

(الفن: ٢٩٢).

٥ ـ والحق أن أبا العلاء ليس فيلسوفاً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، إلا إذا توسعنا، وجعلنا كل شخص يفكر تفكيراً حراً فيلسوفاً أي محباً للحكمة.

٦ ـ إن اللزوميات ترينا أبا العلاء حائراً حيرة شديدة.

(الفن: ٣٠١).

٧ ـ وإن من يقرأ اللزوميات، وينظر فيها نظرة فنية من حيث الصياغة والتنسيق يلاحظ أنها واهية، فقد استغرقها أبو العلاء بالابتذال والتكرار حتى كاد اسلوبه أن يسقط في غير موضع من مواضعها.

نعم إنه وفق في بعض أبياتها ولكن الكثرة الغالبة يعمها الإسفاف والضعف والابتذال، وكأني به نسي أسلوبه الشعري الذي كان يعرفه في (سقط الزند...)

(الفن ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

٨ ـ وهل في اللزوميات سوى الخلل والضعف والإسفاف؟

٩ ـ يمكن أن نسميه الناظم ولكن من الصعب أن نعطيه لقب الشاعر، أو نسمي ما في اللزوميات شعراً.

(الفن: ٣٠٥).

١٠ ـ والحق أن أبا العلاء لم يستطع أن ينهض بالصياغة الفنية في لزومياته إذ كان يعتمد على تكرار الأفكار، وإن الإنسان ليخيل إليه أن هناك مجموعة من الإفكار ما يزال ينظمها أبو العلاء على قواف وحروف مختلفة، وهو يغاير في القافية أو في الحرفين الأخيرين ولكنه لا يحاول أن يغير في المعاني والأفكار...

(الفن: ٣٠٦).

١١ ـ ونحن نلتفت من هذه الكلف إلى أن اللزوميات ليست ديواناً بالمعنى المألوف عند العرب، ولعل ذلك ما جعل أبا العلاء يسميها في مقدمته تأليفاً، وقد سماها مرة أخرى كتاباً....

(الفن : ٣٠٨).

١٢ ـ الثقافة اللغوية أهم شيء فكر فيه أثناء عمل لزومياته.

(الفن: ٣١٢).

١٣ ـ وكأني بالشعر العباسي قد ارتفع به العباسيون إلى القمة، ثم أخذ يسقط رويداً رويداً، فإذا هو قصائد ملفقة تلفيقاً، وقلما احتوت جمالاً من زخرف أو فكر، وحتى ألوان التصريع القديمة أصابها ما أصاب لون الجناس عند المعري، إذ تحولت إلى صور هندسية مرتبكة، قلما يجد الإنسان فيها طرافة إلا تعقيداً يقضي على كل ما يبعثه الشعر من لذة شعرية أو متعة فنية..

(الفن: ٣١٦).

الرد على أستاذنا الدكتور شوقي ضيف في كتابه (الفن ومذاهبه في الشعر العربي).

ملاحظة:

كان يمكّن أن أكتفي في هذا الرد بما ورد في كتاب الأستاذ معروف الرصافي (على باب سجن أبي العلاء) وفي كتاب (الجامع في أخبار أبي العلاء) للأستاذ محمد سليم الجندي، ففيهما ردود دامغة على آراء الدكتور شوقي ضيف، ومع ذلك فقد أحببت المساهمة في الرد، وإليكم بعض ما لمست في كتابه:

١ ـ أقل ما يقال في رأي الدكتور شوقي في المعري، أنه التقى برجال الدين في

الحملة على أبي العلاء. أما رجال الدين فقد هاجموه فجردوه من الإسلام، وأما الدكتور فجرده من الشاعرية ولا سيما في (لزوم ما لا يلزم) وحمل عليه حملة شعواء غير منصفة.

٢ ـ كيف تحول أبو العلاء فجأة من شاعر وإن كان مقلداً في سقط الزند إلى نظام لاحظ له في الشعر في (اللزوميات)؟ وهل نسي أنه كان شاعراً في (سقط الزند)، كما قال الدكتور.

٣ ـ لم تسقط اللزوميات من الناحية الفنية في الابتذال، وأكثرها ـ إن لم نقل كلها ـ لا تعرف الإسفاف ولا الضعف، وإنما هي شعر من الطراز الرفيع ينتصب شامخاً قوياً وانظر رأي طه حسين وهو يلتقي برأي الدكتور ضيف أو أن الدكتور شوقي تبنى رأي الدكتور طه وزاد عليه.

٤ ـ أفكار أبي العلاء في اللزوميات ليست جميعها عند المتنبي ـ كما قال أستاذنا ـ بل إن أفكار المتنبي لا تعدو أن تكون قطرة في بحر أفكار أبي العلاء التي امتدت لتشمل الأرض والسماء والحياة الاجتماعية والسياسية وعالم الإنسان والحيوان والأديان والمذاهب والأخلاق... وربما شارك المعري المتنبي في بعض أفكاره...

٥ ـ أبو العلاء شاعر كبير واللزوميات شعر من طراز رفيع فريد... ونحن مطمئنون إلى إطلاق اسم الشاعر عليه وإطلاق لقب الشعر الراقي على شعره.

٦ ـ ليست الثقافة اللغوية، وحدها هي التي أملت اللزوميات على الشاعر، إنما أملاها عليه تفكيره العميق في شؤون المجتمعات والناس ومحاولته أصلاح ما فيهم من عوج وفساد، وكان شاغله الشاغل فيها الإنسان الحي، وقد استفاد المعري من معرفته للغة العربية وألفاظها، وهي معرفة قال عنها التبريزي ـ كما جاء في كتاب الدكتور ـ ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة لا يعرفها المعري، فاللغة كانت عنصراًمساعداً أما عبقرية المعري وشاعريته فهما الأصل.

٧ ـ يمثل شعر المعري ذروة الشعر العربي العباسي، وقد ارتفع بشعر المعري مستوى هذا الشعر ولم ينخفض، وما يزال شعره يهز أعماق عقولنا وقلوبنا فكرياً وعاطفياً ويمتعنا متعة شعرية كاملة.

٨ ـ اختار الدكتور من اللزوميات شواهد تؤيد رأيه وهي الأقل، وترك كل الشعر الذي يخالف رأيه، وهو الأكثر.

٩ ـ أظن أن أستاذنا وقع في هذه الهفوة في الحكم على المعري مدفوعاً بنظريته في أطوار الشعر العربي من مطبوع ومصنوع ومتصنع، وهي نظرية صحيحة إلى حد بعيد، ولكنها لا تنطبق على كل الشعراء في كل العهود فقد رأينا من يمثل مختلف المدارس في عصر واحد وأكتفي بمثال واحد هو البهاء زهير فقد كان وهو من القرنين السادس ـ والسابع من أرق الشعراء طبعاً وأكبرهم عفوية... ونكتفي بهذا المثال. إن إطلاق الدكتور نظريته على كل الشعراء في كل عصور الشعر العربي ـ دون استثناء ـ غير وارد.

ي ـ شعر المعري في الكتب العامة الحديثة، كتب التراجم:

لا تخلو الكتب الأدبية الحديثة، كتب التراجم من ذكر أبي العلاء، ولكن أكثرها تكاد تقتصر، مثل كتب التراجم القديمة، على الحديث عن سيرته واختلاف الناس في عقيدته، وأرى أن أقتصر في بحثي على ثلاثة من هذه الكتب:

١ ـ تاريخ الأدب العربي (حنا فاخوري).

٢ ـ الرائد في الأدب العربي (نعيم الحمصي).

٣ ـ نصوص مدروسة في الأدب العربي (خليل هنداوي).

ونجد في هذه الكتب الثلاثة شيئاً من الاهتمام بشاعرية المعري.

١ ـ تاريخ الأدب العربي (حنا فاخوري):

أكثر بحثه في كتابه (٦٨٦ ـ ٧٠٨) عن سيرة أبي العلاء فإذا عرض لـ (سقط الزند) قال:

... إلا أن شعره المدحي لا يخلو من وثبات شعرية صحيحة، قوام اندفاعها الموسيقي، والحركة التمثيلية وهو لا يخلو من استطرادات تصويرية إذ يقع الشاعر

على معنى يرومه أو صورة يستعذبها، فيستغل نواحي ذلك المعنى أو تلك الصورة ويتوسع في القول مفصلاً موضحاً صورته بصورة أخرى...

فإذا انتقل إلى موضوع الرثاء قال:

... أحسن ما قاله الشاعر في هذا الباب رثاؤه لأبي حمزة في قصيدته الدالية المشهورة التي مطلعها:

غير مجد في ملتي واعتقادي نـوح بـاك ولا تـرنـم شـاد

وهي من روائع شعر أبي العلاء، بل من أروع الشعر العربي، جمعت صدق اللوعة، وعمق الفكر، فكانت مزيجاً من عاطفة خفاقة تتغلغل إلى أعماق النفس، وحكمة عميقة تتجلى خلالها قيمة الحياة بإزاء الموت في صور رائعة حسنة الاختيار ويختم بحثه في (سقط الزند) بقوله:

وبالجملة، إن أبا العلاء المعري قليل الروائع الشعرية، كثرت في شعر حداثته المبالغة وظهر التكلف، كما ظهر التقليد ومحاكاة الشعراء ولا سيما المتنبي...

وحديث الفاخوري عن اللزوميات يتناول في الدرجة الأولى آراء أبي العلاء، والعقل والفلسفة والعقائد، ويختمه بقوله:

فهذا شعر حُدِّد موضوعه واختير له نظام في القوافي، وترتيب على الحروف وحركاتها، وليس هو شعراً كسائر الشعر، لا بل هو بعيد عن نتاج الخيال الشعري. يظهر في معناه التكلف الشديد من غرابة في اللفظ، وجناس كثير، والتزام ما لا يلزم في القوافي، واستعمال ألفاظ العلوم المختلفة من عروض ونحو وفقه وما إلى ذلك...

ولكن الفاخوري في مقدمة بحثه عن أبي العلاء يقول:

... في أسلوب المعري حوار وظرف وفكاهة، ولكن فيه تعقيداً شديداً وعبثاً لغوياً بعيداً عن الفن والطبع...

وفي رأي الفاخوري من التجني على شعر المعري ما فيه، ولكنه يلي الدكتورين طه حسين وشوقي ضيف في تجنيه، ولا نريد أن نعيد الرد على بعض آرائه فقد مر في ردنا على من قبله.

٢ ـ الرائد في الأدب العربي (نعيم الحمصي).

سقط الزند:

يقسم شعر المعري فيه إلى ثلاث مراحل:

... أما شعره في دور الحداثة فمطبوع بطابع المبالغة والتكلف وضعف المعنى، واللفظ والأسلوب...

وأما شعره في الطور الثانث فأصبح تمثيلاً لعواطف الشاعر، وأقل حظاً من التكلف وأكثر متانة وتغلب عليه المبالغة في أوله ثم لا تلبث أن تفارقه في آخره...

وأما شعره في الطور الثالث فقد كان متأثراً بما أخذ به أبو العلاء نفسه من التشدد وترك المبالغة حرصاً على الصدق، وترك الضرورات حرصاً على التزام الإجادة، والتزم القوافي الصعبة وأطال فيها من غير أن يظهر عليه ملل أو ضعف...

لزوم ما لا يلزم:

... ولزوم ما لا يلزم، إذا غض الطرف عن موضوعاته وتلاؤمها مع ألفاظها وتراكيبها، متين اللفظ، جزل الأسلوب، تغلب فيه الفخامة على السهولة والرقة، وهو بأسلوب أهل البداوة أشكل منه بأسلوب أهل الحضر...

ولا يخلو من أبيات وضحت معانيها، وسهلت ألفاظها، وأضفى عليها الخيال حلة قشيبة، فكانت من روائع الكلم، وذلك كقوله:

تقفون، والفلك المحرّك دائرٌ وتقدرون فتضحك الأقدار

وقوله:

خسست يا أمنا الدنيا فأف لنا بنو الخسيسة أوباش أخساء

يموج بحرك، والأهواء غالبة لراكبيه، فهل للسفن إرساء

.....

رأي في قصيدة المعري الدالية.

ويورد الأستاذ الحمصي رأيه في قصيدة أبي العلاء في رثاء الفقيه الحنفي فيقول:

هذه القصيدة من أعظم قصائد الرثاء في الأدب العربي.

- إن لم نقل أعظمها - ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن هذه القصيدة من الأدب العالمي الخالد على مر العصور بعاطفته وروحه وأخيلته وفنه وسائر عناصره.

(الرائد : ٣٦٩ - ٤٤٢).

٣ - نصوص مدروسة في الأدب العربي (خليل هنداوي)

ومن هذه النصوص نص يدرس فيه المؤلف قصيدة لأبي العلاء في (لزوم ما لا يلزم) هي:

غدوت مريض العقل والدين فالقني لتسمع انباء الأمور الصحائحِ

وفي هذه الدراسة يقول عن خصائص الأسلوب:

هذه القطعة تمثل أسلوب أبي العلاء السهل الواضح في بعض لزومياته، تناولت الأفكار الواضحة، وعبرت عنها بوضوح، ليس فيها من الصور البيانية شيء غير طبيعي أو متكلف إلا بعض لمحات تمر مراً خفيفاً، ولكنها لا تخلق جواً شعرياً...

وأسلوب القطعة ـ كما رأيت ـ واضح سهل يتحلى بميزات الأسلوب العلمي، لأنه قطعة للتأمل لا للشعر.

أبو العلاء في دائرة المعارف الإسلامية. (الترجمة العربية : ٣٧٩ ـ٣٨٣).

لا تخرج دائرة المعارف الإسلامية على منهج الكتب القديمة وبعض الكتب الحديثة في اجتناب البحث في شاعرية المعري، وتكتفي بالقول:

"وهو يدين بشهرته في المشرق إلى مجموعة أشعاره الأولى (سقط الزند)... ولم يكن أثر المتنبي ظاهراً في الأسلوب الذي توخى فيه الصنعة البلاغية فحسب، بل في تلك الحرية التي تجاهل فيها القواعد الموروثة...

أما مجموعة أشعاره الثانية (لزوم ما لا يلزم) فإنها تتميز بهذه الآراء (الشديدة المروق)... واللزوميات اسم يشير إلى الصعوبة الفنية التي التزمها في القافية...

وبذلك تتجنب دائرة المعارف الحديث عن شاعرية المعري، وتقتصر على ذكر شيء عن ديوانيه.

شاعرية أبي العلاء:

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس حرياً ان يقال له: شعر

* * *

إني لأطرب على حسن الشعر كما أطرب على حسن الغناء

المأمون

استعرضنا في الفصول السابقة عدداً من الكتب والتراجم والأبحاث التي تتحدث عن أبي العلاء، ورأينا أن الحديث عن شاعريته في أكثرها كان مبتسراً، وأنها أفاضت في الأحاديث عنه كفيلسوف، فإذا تحدث بعضها عنه كشاعر افترقت ثلاث فرق:

١ ـ فرقة تقول إنه شاعر خنذيذ وشاعر عالمي.

٢ ـ وفرقة ـ وهي الأكثر عدداً ـ تقول إنه حسن الشعر.

٣ ـ وفرقة تقسو عليه وتكاد تحرمه لقب شاعر.

فأين نحن من هذه الأقوال المتضاربة؟

ماهو الشعر:

١ ـ الشعر في كتاب "موسيقى الشعر":

جاء في كتاب "موسيقى الشعر" للدكتور إبراهيم أنيس ما يلي:

" فإذا حاولوا تعريف الشعر رأينا تبايناً واختلافاً ولم نجدهم يستريحون أو يتفقون على تعريف جامع مانع. ونحن نسوق هنا طرفاً من تلك التعاريف المختلفة التي عنت لبعض الأدباء ناقدي الأدب في أوروبا:

أ ـ ما ثيو أرنولد يقول: "إن الشعر هو نقد الحياة، والكشف عن القيم التي يراها الشاعر في هذه الحياة أو في جزء منها يهتم به الشاعر".

.....

ب ـ شيلّي يصف الشعر بأنه خير كلمات صفت في خير نظام...

.....

ج ـ ومن الأدباء من يصف الشعر بأنه عاطفة يتذكرها الشاعر عند الهدوء، ومنهم من يقول في الشعر "هو ذلك الكلام الخالد" ومنهم من يشير إلى الشعر قائلاً: "الشعر طريقة خاصة من طرق استعمال اللغة...

وقالوا في صراحة: "نحن لا نستجيب للشعر عن طريق العاطفة وحدها ولا نستجيب له عن طريق العقل وحده، وإنما نستجيب له بكل نفوسنا وبكل ما فينا من عاطفة وذكاء، وخير الشعر ما كان من عاطفة وعقل معاً، من اتزان وهوج معاً، واقعياً وخيالياً معاً، وتلك هي الحياة"

(موسيقى الشعر ص: ١٣ ـ ١٤).

٢ ـ الشعر في المعجم الأدبي للأستاذ مجدي وهبه.

جاء فيه ما يلي في اختصار:

الشعر:

هو فن من فنون الكلام، يوحي عن طريق الإيقاع الصوتي واستعمال المجاز بإدراك الحياة والأشياء إدراكاً لا يوحي به النثر الإخباري...

ولقد اختلفت الآراء في تعريف الشعر، إلا أنه اتفق غالبها على خواص أساسية لا بد من وجودها في الكلام، حتى يستحق أن يسمى شعراً.

وهي:

١ ـ التعبير عن إحساس قوي وتأثر عميق...

٢ ـ انتقاء الألفاظ المستخدمة فيه...

٣ ـ ترتيبها ترتيباً موسيقياً خاصاً يعبر عنه بالوزن.

٤ ـ ويزيد الشعر العربي قيداً لفظياً آخر، هو وجود القافية، وإن ثار عليه في العصر الحديث شعراء الشعر الحر...

(المعجم الأدبي: ٤٢٣ ـ ٤٢٤).

٣ ـ الشعر في معجم مصطلحات الأدب، عبد النور، في اختصار:

الشعر:

١ ـ فن يعتمد الصورة والصوت والجرس والإيقاع، يوحي بإحساسات وخواطر وأشياء لا يمكن تركيزها في أفكار واضحة للتعبير عنها في النثر المألوف.

والمعروف أن تحديد الشعر تحديداً وافياً في غاية الصعوبة، إن لم يكن من الأمور المستحيلة، لذلك اختلفت المذاهب الأدبية في موقفها من تحديده، غير أن فيه عنصرين أساسيين واضحين في تكوينه وهما:

أ ـ اللغة. وهي مختلفة عن لغة النثر.

ب ـ الرؤيا التي لا يمكن الإبانة عنها إلا باللغة الشعرية.

فتتيح للإنسان رؤية حدسية مختلفة كل الاختلاف عن النثر.

وحسب هذا الرأي يصبح الشعر أداة للمعرفة، معبرة عما يستحيل بلوغه عن طريق العقل ويتجاوز البحور والأوزان، بحيث يتيسر لنا أن ندخل في دواوين الشعراء عدداً من الآثار غير المنظومة.

وبذلك يتخطى في مضمونه النظم الذي يكتفي باستقامة الوزن.

وصحة القافية وسلامة التركيب...

٢ ـ إن الموهبة الشعرية قد تتجلى في وضوح في آثار عدد من الأدباء الناثرين....

٣ ـ إن الموهبة الشعرية ملكة ذاتية تنمو داخل الشخصية المتميزة عاطفياً أو عقلياً، فتمكنها من فهم العالم المنظور وغير المنظور وتأويل أسرارهما...

٤ ـ إن تميز الموهبة بالتفوق أهاب بكثير من المفكرين إلى القول منذ أقدم العصور بأن هذه الملكة من مصدر غير إنساني... من شيطان...

٥ ـ أغراض الشعر لا تحد عدداً وشمولاً، لأن موضوعه الحياة بكاملها، بكل ما فيها من عوالم فكرية وعاطفية وخيالية.

(معجم مصطلحات الأدب
مادة: شعر)...

٤ ـ الشعر في معجم لاروس الكبير:

١ ـ الشعر فن الأبيات (القصائد) في مقابل النثر.

وهو الفن الذي يثير ويوحي أكثر الأحاسيس والانطباعات والهيجانات عنفاً وحِدَّة، ويربط ربطاً حميماً بين الصوت والنغم والإيقاع.

* الشعر فن رفيع.
* الشعر رسم يتحرك، وموسيقى تفكر (روشان).
* هنالك كثير من الأبيات (القصائد) دون شعر (هوغو).

٢ ـ القصيدة، أصلها في اللغة (صنع ، خلق)[١][١].

تتألف من أبيات تمتد امتداداً ما، وهي من الناحية المجازية كل ما يقدم أو يوحي مادة غنية عجيبة في الخيال الشعري.

٣ ـ الشاعر الحقيقي هو الذي يهز الروح ويثيرها (فولتير).

* الشاعر مجازاً هو الذي يملك خيالاً خصباً وأفكاراً نبيلة.
* الفلاسفة الكبار هم شعراء العقل الإنساني (ساسي).
* الفن يصنع الأبيات (القصائد) والقلب وحده هو الشاعر (شينييه)
* أيها الشاعر خذ قيثارتك:

ذلك هو النداء الذي هتفت به ربة الفن، وهي تحمل الإلهام إلى الشاعر (موسيه في ليلة أيار "مايو").

---

(١)(١) جاء في كتاب أستاذنا الدكتور شوقي ضيف (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) : ١٧ ما يلي: فكلمة شاعر عند اليونان القدماء معناها صانع، وكلمة شاعر عندنا في العربية تقترب من معناها في اليونانية، فالشاعر معناها العالم والشعر معناها العلم والعلم ـ كما هو معروف ـ يدخل في باب الصنائع...

فأين نجد أبا العلاء في هذه التعريفات؟

١ ـ في كتاب موسيقى الشعر:

نقد أبو العلاء الحياة نقداً كثيراً مراً، وحاول الكشف عن القيم التي رآها في الحياة، وكان يهتم بكل جانب من جوانبها، بل لم يكد يترك شيئاً فيها إلا عالجه وأبدى موقفه منه.

٢ ـ في المعجم الأدبي:

أ ـ أبو العلاء شديد الإيحاء بشعره عن طريق الإيقاع الصوتي والمجاز، أليس هو القائل:

لا تقيّدْ عليَّ لفظي فإني مثل غيري تكلمي بالمجاز

ب ـ أبو العلاء يعبر في شعره عن إحساس بالمجتمع والحياة، وعن تأثر عميق بما يعانيه.

جـ ـ أبو العلاء يرتب شعره ترتيباً موسيقياً.

د ـ المعري زاد في لزومياته قيداً آخر على الشعر العربي علاوة على قيد القافية بلزوم ما لا يلزم في قوافيه.

٣ ـ في معجم مصطلحات الأدب

أ ـ اعتمد المعري الصورة والصوت والجرس والإيقاع في كل شعره ولا سيما في (سقط الزند) وقصائد كثيرة في (لزوم ما لا يلزم).

ب ـ أبو العلاء أوحى إلينا بكثير من الإحساسات والخواطر والأفكار والعواطف في شعره.

جـ ـ لغة أبي العلاء في شعره مختلفة اختلافاً بيناً عن لغته في نثره.

د ـ أبو العلاء صاحب رؤيا واسعة تفتح لنا آفاقاً رحبة من الإحساسات والمشاعر والرّؤى.

هـ ـ المعري أدخلنا عندما حاول فهم العالم المنظور وغير المنظور والكشف عن أسرارهما في تجربة حقيقية ومعاناة قاسية لنفهم نحن هذين العالمين ونكشف أسرارهما.

و ـ أغراض شعره في (سقط الزند) كانت هي الأغراض المألوفة في الشعر العربي، ولكن أغراض شعره في (لزوم ما لا يلزم) كان موضوعها الكون والحياة بكاملها بكل ما فيه من عوالم فكرية وعاطفية وخيالية كان ديوان (اللزوميات) فتحاً جديداً في الشعر العربي.

٤ ـ في معجم لاروس الكبير:

أ ـ شعر المعري أوحى إلينا أكثر الأحاسيس والانطباعات والهيجانات عنفاً مع الربط بينها ربطاً حميماً في الصوت والنغم والايقاع.

ب ـ في كثير من شعره رسوم متحركة وموسيقى مفكرة.

جـ ـ في شعره مجاز كثير ومادة خيالية غنية.

د ـ المعري شاعر حقيقي يهز الروح ويثيرها.

هـ ـ أبو العلاء شاعر العقل الإنساني ولا سيما في (اللزوميات).

و ـ أخذ أبو العلاء قيثارته من ربة الفن وغنى.

تطبيق هذه المقاييس على المعري:

هذه هي مقاييس الشعر والشاعر في تعريفات الشعر التي أوردناها سابقاً وقد

رأينا أنها تنطبق جميعاً على المعري نظرياً، ونريد الآن أن نطبق هذه المقاييس على شعره عملياً.

عناصر الشعر أربعة:

١ ـ التأثير.

٢ ـ التفكير

٣ ـ التصوير

٤ ـ التعبير

ولكننا استناداً إلى تعريفات الشعر السابقة وجدناها أضافت عنصرين، فأصبحت ستة هي:

١ ـ العاطفة والإحساس العميق

٢ ـ الرؤيا والصور والمجاز

٣ ـ الأفكار النبيلة.

٤ ـ محاولة فهم العالمين: المنظور وغير المنظور.

٥ ـ شمولية الشعر لما في الحياة من عوالم فكرية وعاطفية وخيالية.

٦ ـ الأسلوب واللغة المختلفة عن لغة النثر

ونريد أن تكون دراستنا لشعر أبي العلاء تتناول هذه العناصر الستة التي تضم العناصر الأربعة الأولى فيها:

أ ـ العاطفة والإحساس العميق:

قل أن نجد شاعراً عربياً، وإن شئت فقل شاعراً عالمياً يملك من الطاقات العاطفية المذهلة والإحساسات العميقة مثلما يملك المعري.

لقد شمل بعاطفته الإنسانية كلها بل امتدت هذه العاطفة فشملت فيما شملت الكون وعالم الحيوان، وعالم الجماد.

١ ـ قلت في كتابي "مواقف إنسانية في الشعر العربي"[١]. تحت عنوان: ابو العلاء المعري: الغيرية التي تبلغ أقصى حد من الإنسانية ما يلي:

ولا بُدَّ أن أبدأ بشيخ المعرة، فهو يحمل جواز سفر يتيح له التقدم على الشعراء جميعاً في مختلف العصور والأقطار، وهو يرفع لواء الإنسانية أمامهم فيسيرون وراءه كما يمشي الجنود وراء القائد.

لقد كان موقف أبي العلاء الإنساني قمة المواقف الإنسانية في الشعر العربي، ولعله أن يكون كذلك في شعر كثير من الأمم.

لقد اخترق هذا الشاعر الأعمى ببصيرته حجاب القرون وتخطى النزاعات في العنصر واللون والدين، فإذا هو يضرب المثل الأعلى في موقف الإنسان الراقي عندما قال:

ولو اني حبيت الخلد فردا لما احببتُ بالخلد انفرادا

فلا هطلت علي ولا بارضي سحائبُ ليس تنتظم البلادا

قال التبريزي في شرح البيت الثاني:

إذا لم يعم المطر البلاد فلا سقيته ولا سقى أرضي.

وقال البطليوسي:

يريد أنه ـ لكرم طبيعته وعلو همته ـ لا يحب الاستئثار دون إخوانه وأحبته.

ونقول:

يبلغ أبو العلاء في هذين البيتين قمة الغيرية والإنسانية فهو لا يرضى أن يكون

---

(١) بيروت، دار الحضارة عام ١٩٩٢ ص : ٩ ـ ١٢ .

في الجنة وحده حتى تكون الجنة للناس جميعاً. وهو لا يريد أن تختص أرضه بالمطر، وإنما يريد أن يسقي المطر أرض الناس جميعاً، فالخير الخاص المحدود ليس خيراً، وإنما الخير هو الذي يشمل الناس كلهم وينتظم الأرض كلها.

٢ ـ والمعري عندما رثى صديقة الحلبي، أبا حمزة، الفقيه الحنفي، لم يرثه وحده. بل رثى نفسه معه، بل رثى الإنسانية كلها، لقد تجاوز عطفه على الأحياء من الناس إلى الأموات، فهو يطلب من الأحياء الذين يسيرون على الأرض أن يسيروا هوناً. ولا يختالوا في سيرهم، وأن يخففوا الوطء على الأرض لأن أديمها من رفات الأجيال الماضية، رفات أجدادهم وآبائهم وقبيح بهم ـ وإن قدم العهد ـ هوان الآباء والأجداد:

صاح هذي قبورنا تملأ الرحـ ـب فأين القبور من عهد عاد؟

خفف الوطء ما أظن أديم الأر ض إلا من هذه الأجساد

وقبيح بناء ولن قدم العهـ ـد هـوان الآبـاء والأجـداد

سر إن استطعت في الهواء رويدا لا اختيالاً على رفات العباد

ثم إن أبا العلاء يتجاوز رثاء الناس إلى رثاء الكون كله بما فيه من نجوم وبحور ودور:

زحل أشرف الكواكب طرا من لقاء الردى على ميعاد

ولنار المريخ من حدثان الد هر مطفٍ ولن علت باتقاد

والثريا مرهونة بافتراق الشم ل حتى تعد في الأفراد

كل بيت للهدم ما تبتني الور قاء والسيد الرفيع العماد

فهل نملك بعد أن لمسنا هذا الحزن الفياض وهذه العاطفة الجياشة إلا أن نعد

المعري من أرق الشعراء عاطفة وأشدهم إحساساً.

(انظر حكم الأستاذ نعيم الحمصي على هذه القصيدة في كتابه "الرائد في الأدب العربي" وقد لخصناه في كتابنا هذا)ورأي الدكتور طه حسين.

٣ ـ والمعري يسمو بعاطفته الإنسانيةإلى عالم المثل العليا في المساواة بين الناس جميعاً على اختلاف أديانهم وأعراقهم وألوانهم.

يرى أبو العلاء أن ليس هناك شريف بولادته ولا وضيع في أصله، وإنما الناس سواسية كأسنان المشط، فالنسب الرفيع لا يرفع وضيعاً، والنسب الضعيف لا يحط رفيعاً، وقد عمد المعري في ذكاء خارق إلى مساواة هاشمي جليل، كان خليفة المسلمين، هو علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ برجل حبشي أسود كان خادماً له ودعا الهاشمي إلى ترك الفخر على الحبشي فقال هذين البيتين الرائعين:

لا يفخرن الهاشمي (م) على امرىء من آل بربر

فالحق يشهد ما عليَّ (م) عنده إلا كقنبر

فهل بعد هذه المساواة في الإنسانية مساواة؟

٤ ـ والمعري يمد إنسانيته حتى تشمل عالم الحيوان، فحرم على نفسه أكله، وقنع بالعدس طعاماً، وبالتين حلوى، ودعا الناس إلى الرفق بالحيوان، فلا يذبحونه ولا يعذبونه ولا يأكلونه، ونجد ذلك في مواضع كثيرة من شعره، ولا سيما في قصيدته الحائية الجامعة (لزوم ما لا يلزم ١ : ١٨٤ ...).

غدوت مريض العقل والدين فألْقني

لتسمع أنباء الأمور الصحائح

(راجع تحليل الأستاذ خليل الهنداوي لهذه القصيدة في كتاب "نصوص مدروسة في الأدب العربي" وقد لخصناه في كتابنا هذا).

٥ ـ بل يغالي أبو العلاء في عاطفته فيدعو إلى التسامح مع الحشرات التي تؤذي الإنسان. ويعدُّ إطلاقها وعدم مسها بسوء خيراً من الصدقة على فقير محتاج:

تسريح كفك برغوثاً ظفرت به

أبر من درهم تعطيه محتاجاً

(اللزوميات ١ : ١٦٨).

إذن فأبو العلاء تتسع عاطفته وتمتد رأفته لتصل إلى البرغوث، فيطلق سراحه إذا ظفر به، بعد أن آذاه، وامتص دمه الفقير، وحرمه نومه.

ومن أراد التوسع في عاطفة أبي العلاء فليرجع إلى كتاب الأستاذ الجندي (الجامع في أخبار أبي العلاء ج ١ : ص ٣٥٦ وما بعدها) ففيه ما يشفي غليله وقد أوردت مقتطفات منه فيما سبق، وليرجع إلى كتابي (مواقف إنسانية في الشعر العربي).

إزالة شبهة.

يصيبنا أبو العلاء بالذهول حين نجده في موقفين اثنين نراهما متناقضين في الظاهر، فإذا تعمقنا في دراستهما تبين لنا أنهما لا يتناقضان في الباطن، وأما أحدهما فيصدر عن شفقة المعري على الإنسان، حين يرى مساوئه وتصرفاته ويصدر ثانيهما عن شفقة المعري على الإنسان أيضاً حين يرى ما يتعرض له من مصائب وأهوال وما يقاسيه من الذل والقهر والضعف، وهكذا يتردد أبو العلاء بين نوعين من الشفقة سلبي وإيجابي فيذكرنا بقول أبي تمام:

فقسا ليزدجروا ومن يك راحماً

فليقسُ أحياناً على من يرحم

ويعلق الأستاذ الجندي في كتابه (١/ ٣٥٦) على هذا التناقض فيقول:

"من نظر إلى شعر المعري حين يتكلم في الناس يظن أن قلبه قُدَّ من

صخر، ولكن من يتقرى أبياته بدقة لا يجد قلباً من قلوب البشر وعى من الرأفة والعطف على كل حي معشار ما وعاه قلب المعري، والذي حمله على ما يرى من القسوة على الإنسان في كلامه حرصه على أن يكون الإنسان إنساناً كاملاً، طاهراً من أدناس الخداع والرياء والخيانة وما أشبه ذلك من الخلال السيئة، فهي قسوة ولدتها الرحمة له لأنه لا يريد أن يكون الإنسان ذئباً في مسلاخ إنسان....

على أنني وإن وجدت في قسوة أبي العلاء على الناس رغبة في إصلاحهم ليكونوا أسوياء شرفاء واستنكاراً لما هم فيه من خداع وفساد ونفاق فقد وجدت في اللزوميات، أبياتاً جد قاسية لم أستطع عليها صبراً فقلت في عتابه[1]:

يا أبا العلاء!

كيف استطعت أن تتمنى هذه الأمنية القاسية حين قلت:

وليت وليداً مات ساعة وضعه ولم يرتضع من أمه النفساءِ

(اللزوميات ١ : ٤٧).

يا أبا العلاء!

كيف استطعت أن ترى في موت الأطفال نجاةً لهم حين قلت:

كان وليداً مات قبل سقوطه على الأرض ناجٍ من حبالته طفرا[2].

(اللزوميات: ٢٨٥).

يا أبا العلاء!

كيف طلبت منا أن نهنىء أهل ميت ترك أطفاله أيتاماً وزوجته أيما، بدل أن

---

(١) نشرت هذا العتاب في مجلة حمص العدد ١٨٨٢ تاريخ ١٩٩٠/٨/٢٧ .

(٢) طفراً: وثباً وقفزا.

نعزيهم، وأن نعزّي والدين عروسين بولادة طفلهما البكر بدل تهنئتهما حين قلت:

لو يعقلون لهنوا اهل ميتهم ولم تقم لوليد فيهم البشر

(اللزوميات : ٢٥٥).

يا أبا العلاء!

كيف أنكرت على أم بشر فرحها بولادة بشر بعد أن انتظرته سنين حين قلت:

وهـذا الـدهـر بـشر بـالمـنـايـا

فـلِـمْ فـرحـت بـبـشر أم بـشر

(اللزوميات : ٣٢٤).

يا أبا العلاء:

كيف أطاعك قلبك حين تمنيت أن يشقوا بطن امرأة حامل ليتخلصوا من جنينها القابع في بطنها منذ شهور حين قلت:

ولَذتِ يا امُّ طفلاً شب في عنت

فليت كشحكِ عن ذاك الجنين بُقز[1]

(اللزوميات : ٣٥١).

يا أبا العلاء:

فهمنا سخطك على الحياة وعلى الناس ودعوتك إلى القضاء على النسل بعدم الزواج، لأنك تعتقد أن الدنيا دار شقاء أولاً، ولأنك تعتقد أن الناس أدنياء لا سبيل إلى إصلاحهم ثانياً.

---

(١) عنت : جهد ومشقة، الكشح : الخاصرة. بُقر : شُق.

أنا أفهم هذا الرأي ـ وإن كنت لا أقرك عليه، وأنا أفهم أنك وصلت إليه بعدما عانيت من شقاء وبلاء وبعدما خبرت الناس خبرة عميقة أليمة وصفتها وصفاً عجيباً حين قلت:

فلو خبرتهم الجوزاء خبري

لما طلعت مخافة أن تكادا

(سقط الزند).

ولكني لم أفهم ولن أفهم أن تطلب منا ـ وأنت الإنسان ـ أن نهنىء أهل الميت المفجوعين، وأن نعزي أهل المولود الفرحين.

ولكني لم أفهم ولن أفهم أن تشتهي، وأنت الإنسان بقر بطن المرأة الحامل لكي يسقط جنينها قبل ولادته.

كل هذه الأمنيات ـ يا أبا العلاء ـ كنت فيها قاسياً قسوة بالغة

وما عهدتك كذلك.

يا أبا العلاء.

أنا أعرف أنك لم تتزوج، ولم تعرف مذاق المرأة اللذيذ.

وأنا أعرف بالتالي أنك لم يولد لك مولود ولم تقبل خده الناعم.

وأنا أعرف أنك لم تر أما ترضع طفلها في نشوة وحنان، ولم تر طفلاً يعبث بثدي أمه ويعضه وهو يرضع ويضحك، أعرف أنك لم تذق هذا كله، ولم تر هذا كله، ولكن ذلك لا يعفيك من اتهامك بالقسوة حين تريد أن يموت الطفل وأن يبقر بطن الحامل، وحين تطلب ألا تفرح أم بشر بولادة بشر، وهي التي رأت الحياة في ضحكته، ولمست السعادة في بسمته.

يا أبا العلاء!

أسرفت في كره الحياة فقلنا معذور، وأسرفت في القسوة على الناس قلنا:

مجرب خبير، ولكنا ننكر أن يصل إسرافك إلى الأطفال الرضع والنساء الحوامل والنساء في النفاس.

يا أبا العلاء!

لقد كنت نموذجاً من نماذج كارهي الحياة، ولكن هؤلاء الذين يحبون الحياة والناس - وأرجو أن أكون منهم - يعترفون بما في الحياة من شقاء ولكنهم لا يفرون منها، ويعرفون ما في الإنسان من نقص ولكنهم لا يدعون إلى ما دعوت.

يدعون إلى تحسين الحياة لا إلى تصفيتها كما دعوت.

يدعون إلى إصلاح الناس لا إلى إبادتهم كما دعوت.

فالموقف الايجابي يبقى خيراً من الموقف السلبي، والنضال في سبيل الحياة أولى من الدعوة إلى الموت..

والسلام عليك يا أبا العلاء، وأرجو عفوك إن كنت قسوت عليك.

حمص ١٠/٦/١٩٩٠ .

إذن فقد تم للمعري، اعتماداً على الشهادات الدامغة في شعره وفي حياته أيضاً، العنصر الأول من خصائص الشاعر، وهو العاطفة والإحساس العميق اللذان يبلغان أحياناً حد المرض.

٢ - الرؤيا والصور والمجاز:

كان أبو العلاء أعمى، ولكنه استعاض عن نور بصره بنفاذ بصيرته، والرؤى والصور والمجازات التي نجدها في شعره قل أن يظفر بها البصراء.

وسنبتدىء بـ (سقط الزند) لنرى بعض الصور فيه.

الصورة الأولى:

قال المعري في الدالية التي يرثي بها أبا حمزة:

رب لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الأضداد

أفليست هذه الصورة مخيفة؟ صورة القبر يفتح شدقه ليبتلع ميتاً بعد ميت، ضاحكاً من تجاورهم بعد الموت وقد كانوا أعداء ألداء في الحياة.

وقد مر بنا أن الدكتور طه حسين علق على هذه القصيدة التي منها هذا البيت فقال:

"نعتقد أن العرب لم ينظموا في جاهليتهم وإسلامهم، ولا في بداوتهم وحضارتهم قصيدة تبلغ مبلغ هذه القصيدة في حسن الرثاء"

(التجديد: ١٩٩).

الصورة الثانية:

قال المعري في رثاء والده، وهو في الرابعة عشرة من عمره قصيدة نونية منها هذان البيتان:

فيا ليت شعري هل يخف وقاره إذا صار أُحدٌ في القيامة كالعهن؟

وهل يرد الحوضَ الرويَّ مبادراً مع الناس أم يخشى الزحام فيستاني؟

أليس في هذين البيتين تصوير خارق لرجل وقور يبعث يوم القيامة، فيبقى وقوراً في الآخرة كما كان وقوراً في الدنيا، ويشعر بالظمأ ويرى بعينيه الحوض المترع وقد ورده الناس وازدحموا حوله، فيؤثر العطش على أن يتخلى عن وقاره، ويترك الناس يردون الحوض ويشربون.

وأسجل - ويا للأسف - أن بعض النقاد لم يجد في هذه الصورة الرائعة ما

يرضيه: فأخذ على المعري أنه سكن حاء أحُد فقال أحْد، فما أعجب من يتخلى عن هذه الصورة ويكتفي بنقد السكون في الكلمة ـ رغم أنها جائزة.

وعلق طه حسين على هذه الصورة فقال:

لا بأس بهذه الصورة التي مثل بها وقار الشيخ يوم القيامة، وقد اضطرب كل شيء فلم يستقر له قرار.

(التجديد : ١١٩ . ١٢٠).

الصورة الثالثة:

سرى برق المعرة بعد وهن فبات برامة يصف الكلالا

شجا ركبا وافراساً وإبلا وزاد فكاد أن يشجو الرحالا

جاء في (شرح التنوير على سقط الزند) حول هذين البيتين:

لما حللنا برامة مغرباً نظرنا إلى برق سرى من جانب الشام، من صوب معرة النعمان، حتى إذا بلغ رامة بات بها يشكو الكلال أي يشكو الضعف لأنه قطع شقة بعيدة ومسافة شاسعة

ولما لمع هذا البرق من نحو المعرة، وهي الوطن، هاجنا ذلك شوقاً، وعمنا بالحزن والكآبة، حتى أحزن أفراسنا وإبلنا وأصحابنا، وزاد البرق في الشجو والتشويق حتى كاد أن يحزن الرحال مع أنها جماد...

وما أروع هذه الصورة : صورة الرحال وهي تترنح على ظهور المطايا شوقاًإلى الوطن.

الصورة الرابعة:

بل هي عدة صور وردت في بيتين اثنين:

كم صائن عن قبلة خده سلطت الأرض على خده
وحامل ثقل الثرى جيده وكان يشكو الضعف من عقده

ورد في شرح التنوير:

"كم من شخص أبي النفس، يرتفع عن تقبيل خده إباء وصيانة يذل خده المصون ويصرع في التراب وتسلط عليه الأرض فتغيره وتبليه.

وكم من منعم يشكو ثقل عقده ترفاً ونعومة حملَ جيدُه الذي هو مناط عقده ثقل الأرض ولا غير عنده ولا نكير".

أقول: ليت الشارح جعل هذا الشخص فتاة تتيه بحسنها وتضن بخدها على القبل فإذا الدود يأكل هذا الخد، وهي تشكو ثقل العقد اللؤلؤي الذي يزين جيدها فإذا هذا الجيد بعد قليل يحمل ثقل الحجارة والتراب، لو فعل الشارح ذلك لكان أكثر توفيقاً في شرحه

الحق أنها صورة مرعبة، صورة الحياة وترفها وصورة الموت وقسوته، وصورة القصر ومباهجه وصورة القبر وظلماته...

الصورة الخامسة:

خرج أبو العلاء وهو شيخ في يوم من أيام الربيع إلى برية المعرة، وبرية المعرة في الربيع من أجمل البراري وأحلاها، فاستنشق النسيم العليل، وأمسك بأعمدة الخيام فإذا هي مورقة ولمس شعب الرحال فإذا هي معشبة ثم لمس شعره فإذا هو أغبر قد علاه المشيب، فقال هاتين الصورتين المتناقضتين في البيت الأول، صورة الحياة المتجددة في العمد والرحال وصورة الموت الزاحف على الإنسان، وأراد في البيت الثاني أن يعزي نفسه وأنى له والحزين لا بد أن يتذكر:

قد أورقت عمدُ الخيام واعشبت شعبُ الرحال وشعر راسيَ اغبرُ

ولقد سلوت عن الشباب كما سلا غيري، ولكن للحزين تذكرُ

نعم تهرم الطبيعة وتشيب ثم تتجدد، ويهرم الإنسان ويشيب ثم لا يتجدد، فلا أقل من أن يتذكرك أيام الشباب.

قال صاحب شرح التنوير في البيت الأول:

"اخضر كل شيء في زمن الربيع، حتى إن عمد الخيام قد أورقت، وشعب الرحال، وهي أعاليها وأطرافها قد أعشبت، أي أنبتت العشب، وقد علا رأسي غبار المشيب، وأبى أن يزايله في زمن الربيع الناضر".

وقال في شرح البيت الثاني:

" لما علمت أن الشباب بعد أن مضى لا يعود، وأن التأسف إثره لا ينفع سلوت عنه كما سلا غيري، لما علم أن الأسى عليه لا يجدي، ولكن لا أقل للحزين الفاقد من أن يتذكر أيام الشباب وفاء بكرم العهد".

تلك بعض الرؤى والصور في "سقط الزند" وأظن أنها كافية للدلالة على شاعرية المعري، وقد تركنا صوراً كثيرة أخرى لعل منها صورة الليل والنجوم في قصيدته النونية، وهي صورة متتابعة المشاهد ضاهى بها المعري الأعمى أشعر البصراء.

ولعلك تسأل: وأين صوره في اللزوميات وأسرع إلى طمأنتك أنها أكثر من صور (سقط الزند) وأكثر براعة، وإذا زعم بعض النقاد أن اللزوميات معقدة متكلفة فنحن نسأله أين ذهب الشاعر المعري في (سقط الزند) وكيف توارى وحرم الشاعرية في (لزوم ما لا يلزم)؟ كلا إن الشاعر في الديوانين لا يزال هو الشاعر.

الصور في لزوم ما لا يلزم:

صور اللزوميات أكثر من أن تحصى، وقل أن تمر بصفحة من صفحاتها دون

أن تطالعك صورة أو صورتان مذهلتان، نعم إن أكثر هذه الصور سوداوية، ولكنها تبقى مع ذلك صوراً.

وإليك بعضها مما ورد في (الجامع في أخبار أبي العلاء) وهو في (اللزوميات).

١ ـ وما نوب الأيام إلا كتائب تبث سرايا أو جيوش تعبّا

(اللزوم: ٣٣).

٢ ـ القلب كالماء والأهواء طافية عليه مثل حباب الماء في الماء

(اللزوم : ١ : ٥٠).

٣ ـ وما كان حبل العيش إلا معلقاً بعروة أيام الصبا فتقضبا

(اللزوم ١ : ٨١).

٤ ـ للمنايا حواطب لا تبالي أهشيما جزّت لها ام رطيبا

(اللزوم ١ : ٩١).

٥ ـ وما النعش إلا كالسفينة راميا بغرقاه في موج الردى المتراكب

(اللزوم ١ :٩٨).

٦ ـ علق الحَينُ في الحضارة بالجد ر وفي البدو شد بالأطناب

(اللزوم ١ :١١٨).

(الحين: الموت ، وهو معلق في المدن بجدران البيوت وفي البادية بأطناب الخيام).

٧ ـ ولي عمل كجناح الغراب أو جنح ليل إذا ما رتبْ

فإن كان يكتبه كاتب فقد سود الصبح مما كتبْ

(صورة الصبح الذي سودته الذنوب)

٨ ـ وحوادث الأيام مثل نباتها ترعى ويأمرها المليك فتنبت

(اللزوم ١: ١٣٧).

٩ ـ وكم وطنت اقدامنا في ترابها جبين اخي كبر وهامة ابلجِ

(اللزوم ١ : ١٦٩).

(ولنتذكر عمر الخيام).

١٠ ـ تخاطبنا بافواه المنايا من الأيام السنة فصاح

(اللزوم ١ : ١٧٩).

١١ ـ رب روح كطائر القفص المس ـجون ترجو بموتها التسريحا

(اللزوم ١ : ١٨٣).

١٢ ـ رايت الفتى شب حتى انتهى وما زال يفنى إلى ان همذ

كمصباح ليل بدا يستنير ثم تناقص حتى خمد

(اللزوم : ٢٤١).

١٣ ـ فليت الفتى كالبدر جدد عمره يعود هلالا كلما فني الشهر

١٤ ـ حاجي نظيم جمان والحياة معي سلك قصير فيأبى جمعَها القِصَرُ

(اللزوم : ٢٥٥).

حاجاتي وآمالي كثيرة العدد، وعمري قصير، فكأن حاجاتي لآلي عديدة لا يستطيع ضمها خيط قصير[1].

١٥ ـ تطوى الغضارة بالليالي مثلما يطوى بأيدي الصانعات إزارُ

(اللزوم : ٢٧٣)

ـ تطوي الليالي نضارة الإنسان كما تطوي المرأة الثوب

١٦ ـ والنفس عند فراقها جثمانها محزونة لدروس ربع عامرِ

كحمامة صيدت فثنت جيدها أسفاً لتنظر حالَ وكرِدامرِ

(اللزوم : ٣٣١).

١٧ ـ شر أشجار علمتُ بها شجراتٌ أثمرت ناسا

(اللزوم : ٢ / ٢٧).

١٨ ـ أرى الناس أنفاس التراب فظاهر إلينا ومردود إلى الأرض راجع

(اللزوم ٢: ٧٢).

---

(١) وردت هذه الصورة لرسول حمزة في كتابه (داغستان بلدي) ص ١٨٧ ـ ١٨٨ ، قال: أحجية تعرض على شامل (الثائر الداغستاني الكبير) وضع بين يدي شامل حبل فيه ثلاث عقد، اثنتان متجاورتان، والثالثة في طرفه الآخر بعيدة عن العقدتين، وقيل له: أحزر. أمسك شامل بالحبل وفحصه وقال: إحدى العقدتين هي أنا، والثانية هي موتي، والثالثة التي في الطرف الثاني من الحبل هي المساحة التي تعيش فيها أحلامي وأفكاري، الغاية التي أحاول الوصول إليها في حياتي، وأضاف رسول: إن الحقل الذي تحرثه أحلامي أوسع بكثير من الحقل الذي أحرثه في الواقع.

١٩ ـ والعيش ورد سيسقى الحي آخره عند الحِمام، وانفاسُ الفتى جرع

(اللزوم ٢ :٧٣)

٢٠ ـ تهزم الرعد حتى خلته أسداً أمامه من بروق السن دلع

(اللزوم ٢ : ٧٥).

(ألسن دلع: ألسنة ممتدة).

٢١ ـ وما زال البقاء يرث حبلي إلى ان حان للمرس انقطاع

(اللزوم ٢ : ٧٧).

٢٢ ـ وأعمارنا أبيات شعر كأنما أواخرها للمنشدين قوافي

(اللزوم ٢ : ٩٤).

٢٣ ـ وجسمي شمعةٌ والنفس نار إذا حان الردى خمدت بأنْ

(بأن ، بنفخة).

(اللزوم ٢ : ٩٧)

٢٤ ـ صاح الزمان فعاد الجمع مفترقاً كالضان لما احست صوت رئبال

(اللزوم ٢ : ١٩٣)

(الرئبال: الأسد).

٢٥ ـ ليت دموعي بمنى سيُلَتْ ليشرب الحُجاجُ من زمزمين

(أراد عينه وعين زمزم).

قد تظنون أني أسرفت في إيراد الأمثلة وتتبع الصور في اللزوميات وعكس ذلك صحيح، فقد تركت صوراً أرقى وأروع وتلاحظون أني لم أتتبع كل

القوافي، وإنما تتبعت أقلها وأؤكد ـ دون مبالغة ـ أني لم أسرف ، بل بخست اللزوميات حقها وظلمت صاحبها، ومن شاء أن يتحقق فأرجو أن يعودإلى قراءة اللزوميات ليتنزه في روضة رائعة من الرؤى والصور والمجازات.

بذلك أعتقد أن المعري نجح نجاحاً باهراً في العنصر الثاني من عناصر الشاعر، وهو الرؤيا والصور والمجازات، وأنا أتساءل: كيف لم يجد بعض نقاد المعري هذه الأبيات وأمثالها في (اللزوميات) ووجدوا الأبيات التي يمكن أن يطعنوا فيها؟

وإلى العنصر الثالث من صفات الشاعر:

٣ ـ الأفكار النبيلة:

المعري إنسان نبيل ومفكر حر، وقل أن عرف الشعر العربي في تاريخه شاعراً في مثل نبله سواء في أفكاره أم في سلوكه وخلقه، وهو من الشعراء النادرين الذين كانت حياتهم مرآة لشعرهم وكان سلوكهم منسجماً مع أفكارهم وعواطفهم، وقد مر بنا في بحثنا عن عاطفته التي تمتزج امتزاجاً كاملاً بأفكاره أنه:

١ ـ يرى أن الخير يجب أن يعم الناس جميعاً فهو عالمي الفكر والضمير.

٢ ـ ينكر التمييز بين الناس في النسب واللون والعرق، فعلي بن أبي طالب (الهاشمي) مثل قنبر خادمه (الحبشي).

٣ ـ يسوي بين الأديان ويدعو إلى المحبة بين أصحابها ويبدأ بنفسه فالمسيح عنده مثل محمد، فهو يقول:

لا تبدؤوني بالعداوة منكمُ فمسيحكم عندي نظير محمد

أيغيث ضوء الصبح ناظر مدلج أم نحن اجمع في ظلام سرمد

قلت في كتابي (مواقف إنسانية في الشعر العربي ص ١٤٦ ـ ١٤٧) ما يلي:

لعل المعري في استفهامه هذا يحث الناس جميعا ومنهم أصحاب الأديان

على التبصر والروية قبل العداوة والغضب، فقد يدفعهم التسرع إلى الضلال والبعد عن الحقيقة، وبعد عشرة قرون تقريباً جاء الكاتب الألماني (ليسنغ) ليقول:

ليست الحقيقة التي يملكها الرجل أو يعتقد أنه يملكها ـ هي التي تجعل له قيمة بل الجهد المخلص الذي بذله للوصول إليها...

(قصة الحضارة ٤١ : ١٧٣).

ويقول (ليسنغ) في موضع آخر:

"كل دين فيه نواة غالية من الحقيقة"

(المصدر نفسه ٤١ : ١٧٩).

وهكذا نجد أبا العلاء يدعو إلى الإخاء بين الأديان، فنحن جميعاً ـ على أحسن تقدير ـ نتخبط في الظلمات، فليتنا نرى نور الصباح وضياء الحق:

كل يسبح فافهم التسبيح في
صوت الغراب وفي صياح الجُدجُدِ

(اللزوميات ١ : ٢٣٤).

٤ ـ يرى المعري الخير والدين في سلوك الإنسان ونقاء صدره من الغل والحسد والفساد لا في الصوم والصلاة ولبس الصوف وحدها إذا كانت لغير الله:

ما الخير صوم يذوب الصلنمون له ولا صلاة ولا صوف على الجسد
وإنما هو ترك الشر مُطَّرحا ونفضك الصدرَ من غل ومن حسد

(اللزوميات ١ : ٢٧).

إذا قومنا لم يعبدوا الله وحده بنصح فإنا منهمُ براءُ

(اللزوميات ١ : ٢١).

ويصل المعري إلى درجة رفيعة من حب الخير لوجه الخير لا طمعاً في ثواب ولا خوفاً من عقاب، فيذكرنا بالمفكر الفرنسي (غويو) وكتابه "الأخلاق بلا جزاء ولا إلزام" قال المعري:

فلتفعل النفس الجميل لأنه خير وأحسن لا لأجل ثوابها

(اللزوميات ١: ٥٢).

٥ ـ إنكار الظلم في الأفراد وفي الشعوب، والمعري يؤثر أن يترك ظلم الناس ولو لم يخلد في النعيم.

وما سرني أني أصبت معاشراً يظلم وأني في النعيم مخلد

(اللزوم : ٨٩).

وهو يرى في كل أنواع الظلم من صغير وكبير إثما لا يقبله:

ظلم الحمامة في الدنيا وإن حسبت

في الصالحات كظلم الصقر والبازي

(اللزوم : ١٧٤).

٦ ـ الزواج بواحدة:

ويخالف المعري أهل زمانه فيدعو إلى الزواج بواحدة إن كان لا بد للفتى أن يتزوج ويرى في زواج الرجل بامرأتين ظلماً له وللنساء معاً فيقول:

قرانك ما بين النساء أذية لهن فلا تحمل أذاة الحرائر

وإن كنت غراً بالزمان وأهله فتكفيك إحدى الآنسات الغرائر

(اللزوميات ١ : ٣٠٩).

ويتابع حملته على تعدد الزوجات في مواضع كثيرة منها:

وواحدة كفتك فلا تجاوز إلى اخرى تجيء بمؤلمات

(اللزوميات ١ : ١٥٥).

٧ ـ إنكار العبث بجسد المرأة الأسيرة ولو حللت ذلك الشرائع والمعري في هذا الموقف يبلغ أقصى درجات الحرية الفكرية والحرص على الكرامة الإنسانية فيقول:

إن الشرائع ألقت بيننا إحنا وأودعتنا افانين العداوات

وهل أُحِلَّتْ نساء الروم عن عرض للعرب إلا بأحكام النبوات

(اللزوميات ١ : ١٤٩)

٨ ـ ويبلغ المعري أقصى حدود الحرية الفكرية والسياسية مرة أخرى حين يؤكد أن الأمراء أجراء عند الشعوب، فيذكرنا بنظرية روسو في (العقد الاجتماعي). يقول المعري:

مل المقام فكم أعاشر امة أمرت بغير صلاحها أمراؤها

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

(اللزوميات ١ : ٣٩).

ويزيد على ذلك فيؤكد أن الضرائب والمكوس التي يجبيها الملوك من الشعوب إنما هي لدفع الأذى عنها وحمايتها، فإذا لم يحموها جاز للشعوب حجب الضرائب والمكوس:

وارى ملوكاً لا تحوط رعية فعلام تؤخذ جزية ومكوس؟

(اللزوميات ٢ : ٢٦).

ونكتفي بذكر هذه الأبيات لنشير لجرأة أبي العلاء في دفاعه عن الشعوب، فهذا يحتاج إلى بحث خاص أرجو أن يتاح لي إنجازه ذات يوم.

ونتساءل الآن، وقد عرفنا بعض أفكار أبي العلاء النبيلة والجريئة: هل جسد أبو العلاء هذه الأفكار في سلوكه، فقد عهدنا ـ ويا للأسف ـ أشخاصاً وجماعات ينادون بشعارات نبيلة وأفكار حرة فإذا هم أولئك يتكلمون ثم لا يمارسون شيئاً من شعاراتهم وأفكارهم.

أما أبو العلاء فقد جسد أفكاره في حياتيه الخاصة والعامة.

في حياته الخاصة:

كانت حياة المعري الخاصة حياة مثالية ـ حسب نظريته.

وقد كفانا الأستاذ الجندي في كتابه (الجامع) تقصي أخلاق المعري ومزايا سلوكه فعد منها على سبيل المثال:

ـ الصبر ـ احتمال الأذى ـ القناعة ـ طهارة اليد والذيل واللسان ـ الزهد ـ الحياء ـ الصدق ـ الجرأة ـ الوفاء ـ التواضع ـ كره الظلم ـ الرأفة ـ التقوى ـ كره الرياء والنفاق...

فمن أراد التوسع فعليه بالكتاب (الجامع) من ص ١١٩٠ والى ١٢٠٩ ولعل معترضاً يقول:

ما دام موضوع البحث الأفكار النبيلة فلماذا تحدثنا عن سلوك المعري وأخلاقه؟ ونسأل المعترض:

أليس سلوك الإنسان العملي تطبيقاً لأفكاره في الميدان النظري؟ أليست هذه

الأفكار في مجال الممارسة هي الأخلاق؟ وإلا لم تكن أفكارا وإنما هي مجرد أخيلة مجردة وأوهام عابرة، ولذلك فقد كان بحثنا عن سلوك المعري في صميم بحثنا عن أفكاره النبيلة.

ثم ألا ترى أن عنوان البحث: (الأفكار النبيلة) يتضمن الفكر والسلوك معاً.

في الحياة العامة:

مر بنا سلوك المعري في حياته الخاصة فكيف نجد سلوكه في حياته العامة؟

أما حياته العامة فلا تقل عن حياته الخاصة تمسكاً بالمثل العليا، فقد أحب بلده (المعرة) حباً كبيراً، وفضل ماءها القليل على ماء الفرات العذب النمير، وفضل نباتاتها من الشيح والقيصوم على نخيل العراق، وترك بغداد عائداً إليها حريصاً عليها، وعندما حوصرت (المعرة) وتعرضت للعدوان عندما أحاط بها صالح بن مرداس خرج إلى صالح بنفسه وشيخوخته وجسده الهزيل، ويده في يد قائده، فلما فتح له باب من أبواب المعرة وخرج منه رأى صالح شيخاً قصيراً يقوده رجل فقال: هذا أبو العلاء فجيئوني به فلما مثل بين يديه كلمه المعري فقال له صالح: أنشدنا من شعرك، فأنشده:

تغيبتُ في منزلي برهة ... ستير العيوب فقيد الحسد

فلما مضى العمر إلا الأقل ... وحم لروحي فراق الجسد

بعثت شفيعاً إلى صالح ... وذاك من القوم رأيٌ فسد

فيسمع منيَ سجع الحمام ... ويسمع منه زئير الأسد

فقال له صالح: بل نحن الذين تسمع منا سجع الحمام ونسمع منك زئير

الأسد، ووهب له صالح المعرة وأهلها، ثم أمر بتقويض الخيام والمجانيق وعاد الشيخ الأعمى إلى عزلته يقوده قائده.

إذن فقد شارك المعري أهل المعرة نكباتهم وأحداثهم، ولم يكتف بحب بلده حباً نظرياً، وحادثة أخرى شارك فيها المعري أهل بلده في همومهم.

في سنة ٤١٧ صاحت امرأة يوم الجمعة في جامع المعرة، وذكرت أن صاحب الماخور أراد أن يغصبها نفسها... فنفر كل من في الجامع إلا القاضي والمشايخ وهدموا الماخور، فقال المعري قصيدته التي يستنكر فيها هذا العدوان:

أتت جامع يومَ العروبة جامعاً تقص على الشهاد بالمصر أمرَها

فلو لم يقوموا ناصرين لصوتها: لخلت سماءَ الله تمطر جمرها

فهدوا بناءً كان ياوي فناءه فواجرُ ألقت للفواحش خمرها

ثم انتقل في حسرة ما بعدها حسرة إلى وطنه الشام، وذكر ما يقاسيه من الظلم والجور، قديماً وحديثاً فقال:

ألفنا ديار الشام إلف ولادة نلاقي بها سود الخطوب وحمرها

فطوراً نداري من سبيعة ليثها وحيناً نصادي من ربيعة نِمرَها

والمعري ينكر على خطباء الجمعة الذين يمدحون الملوك والأمراء دون حق، ويقدم لنا هذه الصورة العجيبة صورة المنبر - وهو من خشب - يبكي حين يسمع نفاق الخطباء:

يدعون في جمعاتهم بسفاهة لأميرهم فيكاد يبكي المنبر

ويكرر المعري هذه الصورة الحزينة مراراً.

إذن فالمعري رغم سجونه الثلاثة يتحرك حين يمس الشر بلده.

فيمشي إلى القائد الذي حاصر المعرة فيسأله فك الحصار وينقذ بذلك مدينته من الدمار، وينصر المرأة التي سامها صاحب الماخور عرضها ويدعو الناس إلى نصرتها والانتقام لها.

لقد اجتمعت في المعري خصلتان:

١ ـ الأفكار النبيلة السامية

٢ ـ التطبيق العملي الكامل لهذه الأفكار.

٤ ـ محاولة فهم العالمين المنظور وغير المنظور.

حاول المعري بكل ما يملك من حدة الذكاء وتوقد الشعور وعمق التجربة أن يفهم العالم المنظور فرآه عالم فساد، ومصيره إلى زوال، وجرب الناس فوجدهم أهل نفاق وعبدة مصالح خاصة، فاعتزل العالم ولكنه ظل يحاول فهمه في عزلته ويسجل في شعره نتائج تجربته، ولئن كانت نظرته التي خرج بها عن العالم كئيبة سوداء، فتلك حصيلة مشاهدته وخبرته، ولكل إنسان الحق في أن يرى العالم حسب ما ذاق وجرب، ونحن حين نخالف المعري في كثير من مجالي فهمه للعالم وللناس، نقدر هذا الفهم غاية التقدير ونحترمه حق الاحترام وندرك الأسباب الشخصية والعامة التي دفعت المعري إليه.

وحاول المعري كذلك فهم العالم غير المنظور في اللزوميات شعراً وفي رسالة الغفران نثراً فأبدى رأيه فيما وراء الطبيعة وفي العقائد وفي الملائكة، بل إنه في لمحة خارقة أشار إلى أن الكون لا نهائي، وهي نظرة يكاد يتفق عليها علماء هذا العصر فقال:

ولو طار جبريل بقية عمره

عن الدهر ما استطاع الخروج من الدهر

ونلاحظ أن فهم المعري للعالم غير المنظور كان يكتسي ثوب التهكم حيناً وثوب النقمة حيناً آخر ونتساءل في مرارة:

وأي إنسان منذ مطلع الخليقة فهم هذا العالم غير المنظور؟

ولسنا في مجال البحث عما أدرك المعري وما لم يدركه من هذين العالمين ولا في مجال الحكم على صحة هذا الإدراك أو سقمه، ولكن الذي يهمنا أن نؤكد أن أبا العلاء حاول وفي جد فهم العالمين المنظور وغير المنظور ونجح في هذا الفهم إلى حد ما، وبذلك حقق الشرط الرابع من شروط الشعر والشاعر.

٥ ـ شمولية الشعر لما في الحياة من عوالم فكرية وعاطفية وخيالية:

وهذا الشرط موفور في شعر المعري، فقل أن نجد موضوعاً من موضوعات الحياة والفكر والعاطفة والخيال إلا عالجه في شعره، وزاد على ذلك فأبدى رأيه فيه.

وإليك بعض الموضوعات التي عالجها أبو العلاء في شعره معالجة طويلة أو أشار إليها إشارة متأنية:

١ ـ الله.

٢ ـ الأنبياء ، والملائكة.

٣ ـ الأديان.

٤ ـ المذاهب المتفرعة.

٥ ـ الدنيا.

٦ ـ المجتمع.

٧ ـ النشر والحشر

٨ ـ الغرائز

٩ ـ رجال الدين

١٠ ـ الشعوب

١١ ـ الملوك والحكام

١٢ ـ النساء والأولاد

١٣ ـ الزواج

١٤ ـ العبيد

١٥ ـ الحروب والمظالم

١٦ ـ الأخلاق

١٧ ـ الحيوان

ولا نريد أن نفصل موقف أبي العلاء من كل هذه الموضوعات، فهي ـ في شكلها الحاد ـ بارزة في كل صفحة من صفحات اللزوميات.

أما خيال أبي العلاء فنجده في (سقط الزند) كما نجده في (اللزوميات) وقد عرضنا بعض خيالاته في هذا البحث، ونلاحظ أن (سقط الزند) ديوان شعر أولاً، وأن (لزوم ما لا يلزم) ديوان شعر وحكمة في آن واحد.

٦ ـ الأسلوب واللغة المختلفة عن لغة النثر:

للمعري أسلوبان في شعره: أسلوبه في (سقط الزند) وأسلوبه في (لزوم ما لا يلزم).

أما أسلوبه في (سقط الزند) فهو أسلوب القرن الرابع الهجري، في التشبيه والاستعارات والكنايات والمبالغة واستعمال البديع، وموضوعاته فيه موضوعات الشعر القديم من مديح ورثاء وغزل وفخر ووصف، وقد نجد فيه بعض الحكم والأمثال وربما استعمل في شعره بعض الغريب.

أما أسلوبه في (لزوم ما لا يلزم)، وهو ديوان شعر فريد افتتح فيه المعري صفحة

جديدة في الأدب العربي، فالمعري يترك فيه كل موضوعات شعره في سقط الزند ويقتصر على موضوعات الحياة والمجتمع والأخلاق، وهو في قصائده اللزوميات يلتزم الإيجاز وقل أن يسهب وربما انتقل في قصيدة واحدة من موضوع إلى موضوع، وتغلب عليه الألفاظ الجزلة التي تصل أحياناً إلى الغرابة، ولكنها ليست بعيدة عن العلماء والأدباء لأنها تخاطبهم قبل غيرهم.

وظل المعري في اللزوميات كما كان في سقط الزند يكثر من ألوان البديع والمعاني والبيان فيها.

ومن شاء أن يقرأ هذه الألوان فليراجع كتاب الجامع ١١٦٢ - ١١٨٠ ، ولا نرى ما يسوغ التكرار فقد بلغ الأستاذ الجندي الغاية في استقصائها.

لغة المعري:

جاء في كتاب أسامة بن منقذ (البديع في نقد الشعر ص ١٦٢) ما يلي:

وقال: الكلام ثلاثة أصناف:

- عامي
- وخاصي
- ووحشي

ولغة المعري في شعره لغة الخاصة من العلماء والأدباء وليست لغة عامية ولا وحشية.

والمعري - كما قال التبريزي - قل أن يجهل كلمة قالها العرب، وكان لا بد لهذه الثروة اللغوية الضخمة أن تظهر في شعره، ولكنه كان، على ما في لغته من ثراء، دقيقاً في اختيار ألفاظه، لم يستعمل العامي لركاكته ولا الوحشي لجهامته بل اقتصر على الكلام الخاصي لفصاحته وملاحته.

وليت الأدباء وعلماء اللغة يضعون معجماً لألفاظ أبي العلاء، لنتبين هذه الألفاظ أولاً ولنعرف منها ما يمكن أن يكون في الشعر ثانياً.

ألفاظ المعري:

لا نكاد نجد في (لزوم ما لا يلزم) كلمة واحدة وردت حشواً يمكنّ أن تستغني عنها، فهو جوهري الألفاظ مثلما الصائغ جوهري اللآلىء والدرر، ولنأخذ هذه الأبيات لا على التعيين من ديوانه:

١ ـ إذا وهب الله لي نعمة أفدت المساكين مما وهبْ

(اللزوميات ١ : ١٤٦)

٢ ـ أرى الأشياء ليس لها ثباتُ وما أجسادنا إلا نباتُ

(اللزوميات ١ : ١٣١).

٣ ـ وما تشعر الغبراء ماذا تجنه أأعظم ضأن أم عظام ليوثِ

(اللزوميات ١ : ١٦٠)

٤ ـ لقد جاءنا هذا الشتاء وتحته فقير معرى أو أمير مدوج

(اللزوميات ١ : ١٦٢)

فهل نجد في هذه الأبيات كلمة واحدة ليس لها مكان، أو هي زائدة!

نقد وتراجع

حاول بعض النقاد إصلاح البيت الأخير للمعري واتهمه أنه يأتي بالألفاظ الغريبة وقال فيما قال: لو أن المعري قال: أمير متوج نيابة عن أمير مدوج لكفانا

عناء البحث عن معنى هذه اللفظة الغريبة (مدوج) ولحافظ في الوقت نفسه على لزوم ما لا يلزم في شعره.

ثم رجع الناقد عن رأيه حين عرف أن كلمة (مدوج) تعني أنه يلبس الفراء والصوف في مقابل الفقير العريان، وأن كلمة (متوج) في هذا المجال لا معنى لها، بل إنها تفسد معنى البيت وصورة الفقير العريان والأمير الكاسي.

ويتبين لنا من ذلك أن أبا العلاء كان يضع الكلمة بموضعها، وإن كانت أحياناً غريبة بعض الغرابة لأنها تدل على المعنى الذي أراده منها.

ولكني لا أبرىء أبا العلاء من رغبته أحياناً في استعمال ألفاظ تدل على قوة لغته ويدفعه إلى ذلك أحياناً حرصه على الثورية والإلغاز حتى يجهد القارىء نفسه في اكتشاف اللفظة ثم المعنى، وربما لجأ إلى ذلك ليدل أنداده على ضعفهم وعجزهم.

ولنضرب هذا المثل من (سقط الزند) بقوله[1]٢٠٦:

إذا صدق الجَدُّ افترى العَمُّ للفتى
مكارم لا تُكري وإن كذب الخالُ

(سقط الزند ٢ : ٧٥).

وهذا مثل آخر[2] من (اللزوميات)

صلى الفتى الجمعة ثم انثنى لذارع في مسحه يذبح

---

(١)الجدَ: الحظ، العم: الجماعة من الناس، افترى: اخترع وكذب، لا تُكري: لا تنقص ، الخال: المخيلة، جاء في شرح التنوير: ألغز ذلك عن الجد والخال والعم من القرابات (وهو يريد الحظ والناس والمخيلة).

(٢) الذارع: الزق الصغير ويقصد به زق الخمر. المسح: ثوب من نسيج خشن.

يعطي به التاجرَ ارباحه وتاجر الخسران لا يربح

(اللزوميات ١ : ١٨٠)

وهذان نصان لا يصل إليهما القارىء إلا بعد التدقيق والبحث عن معاني الألفاظ، وألاحظ في موضوع الألفاظ عند أبي العلاء ملاحظتين:

١ ـ الأولى أن أبا العلاء صاحب كنز لغوي فهو يلجأ من حين إلى حين لنبش ما في هذا الكنز، كصاحب المال في المصرف يسحب ماله عند حاجته إليه.

٢ ـ والثانية أن ألفاظ الشعر تكون عادة منتقاة وأكثر صعوبة من ألفاظ النثر، وقد لمست ذلك عندما قرأت الشعر الفرنسي فاحتجت إلى القاموسأكثر من حاجتي اليه عند قراءة النثر.

إذن فالدافع إلى وجود بعض الألفاظ الغريبة في شعر المعري راجع إلى ثلاثة أمور:

١ ـ وفرة غناه في اللغة والألفاظ، والغنى لا بدأن يظهر

٢ ـ استعماله للمجازات وللألغاز في بعض شعره.

٣ ـ ولا نبرىء أبا العلاء من رغبته في التحدي وإظهار المقدرة

وهي ألفاظ لا تخرج مع ذلك عن الكلام الفصيح، وإن كانت أحياناً غير مألوفة.

دفع شبهة:

يقول بعض النقاد إن أبا العلاء استعمل بعض الألفاظ الغريبة ليستر آراءه ومعتقداته التي خالف فيها آراء معاصريه ومعتقداتهم من باب "التقية"، وهذا القول لا يصح في حال من الأحوال، فإن الأبيات التي وردت فيها هذه

الآراء والمعتقدات واضحة كل الوضوح، وليس فيها لفظة واحدة تحتاج إلى تفسير، ولا أريد أن أضرب أمثالاً على ذلك فليراجع هذه الأبيات من يشاء.

أسلوب المعري:

من هذه العناصر.

معرفة المعري باللغة العربية معرفة تكاد تكون كاملة.

اختياره للألفاظ التي تفصح عن المعنى الذي يريده

حفظه للنصوص الأدبية شعراً ونثراً لفحول الأدباء والشعراء والكتاب واطلاعه الواسع على التراث العربي الأصيل.

من كل هذه العناصر استمد المعري أسلوبه الرصين فكان أسلوباً يذكرنا بفحول الشعراء العرب، وأصحاب البيان من الخطباء والكتاب.

قال الأستاذ الجندي في فصل دعاه : "قوة التأليف والطلاوة والانسجام": (في لزوم ما لا يلزم أبيات جمعت حسن الرصف إلى قوة الأسلوب، وطيب الجرس، وأبيات هي غاية في الطلاوة، وهي في اللزوم أكثر من أن تحصى، ويزيد بعضها جمالاً ما فيه من التلميح لحادثة أو مزعم أو نحو ذلك أو ما فيه من الاكتفاء بالاشارة إلى المعنى...

(الجامع: ١١٦٢).

فأين هذا الرأي المنصف من ذلك الرأي الظالم الذي مر ذكره؟

"وهل في اللزوميات سوى الخلل والضعف والإسفاف، ثم يتابع قوله:

"يمكن أن نسميه (المعري) الناظم، ولكن من الصعب أن نعطيه لقب الشاعر أو نسمي ما في اللزوميات شعراً".

الموسيقى في شعر أبي العلاء:

أما موسيقى شعره في (سقط الزند) فهي موسيقى الشعر العربي في عهد فحول العصر العباسي، وحسبك بالداليتين وزناً وإيقاعاً، وأما في (لزوم ما لا يلزم) فقد كانت الموضوعات تستلزم البحور الطويلة لأنها أقدر على استيعاب المعاني، ولكن أبا العلاء كان يلجأ كثيراً إلى البحور القصيرة، وخاصة إلى البحور المجزوءة أو المتقارب أو المحدث ليعطي شعره رنة موسيقية لا نبالغ إذا قلنا إنها تصل أحياناً إلى حد الرقص، وإليك هذين البيتين:

نـزول كـمـا زال آبـاؤنـا ويبقى الزمان على ما ترى

نهار يـضيء ولـيل يجيء ونـجـم يـغـور ونـجـم يـرى

بل إن هذا البديع الذي يشمل البيت الثاني كله في الطباق بين النهار المضيء، والليل المظلم، والنجم الغائر والنجم الطالع يزيد البيت جمالاً وموسيقى، ولا يشوه شعره.

وقوله:

كـم سـبـحـت أربـع جـوار لها بـتـسـبـيـحـهـا حـبـور

فـمـن جـنـوب ومـن شـمـال ومـن صـبـاً اختـهـا الـدبـور

طـال وقـوفي وراء جـسـر وإنـمـا يـنـظـر الـعـبـور

ونذكر القارىء بما قاله ابن الأثير في كتاب الجامع وقد مر في تلخيصنا لكتابه، وأن بعض شعره كان يغنى (انظر تلخيص أوج التحري في كتابنا) وارجع إلى تلخيص خزانة الأدب لابن حجة الحموي في كتابنا وقد أورد قول أبي العلاء:

والخل كالماء يبدي لي ضمائره مع الصفاء ويخفيها من الكدر

وقال: وعدوه من المرقص.

مراتب القوافي في لزوم ما لا يلزم:

وليست قوافي المعري التي التزم بها ما لا يلزم من جنس واحد.

وقد درس الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه "موسيقى الشعر" ديوان (لزوم ما لا يلزم) من الناحية الموسيقية فقال:

على أن أبا العلاء أحياناً يسمو بموسيقى القافية إلى ما يعادل ثمانية أصوات، ولكن هذا نادر حتى في لزومياته مثل قوله:

راعتك دنياك من ريع الفؤاد وما راعتك في العيش من حق المراعاة

كانما اليوم عبد طالب امة من ليلة قد اجدا في المساعاة

فقد راعى هنا ألفي مدٍّ ، وهما بمثابة حرفين وحركتين قصيرتين، ثم راعى حرفاً آخر هو العين، هذا إلى الروي وحركته.

وقد يكون من الخير أن نقسم قافية أبي العلاء في (اللزوميات) إلى مراتب تصاعدية حسب كمال الموسيقى فيها:

١ ـ أقل المراتب ما كانت مثل قوله:

نقمت على الدنيا ولا ذنب اسلفت إليك فانت الظالم المتكذب

وهبها فتاةً هل عليها جنايةً بمن هو صب في هواها معذب

٢ ـ المرتبة الثانية تتضح في مثل قوله:

لا بد للروح ان تنأى عن الجسد
فلا تخيم على الأضغان والحسد

٣ ـ المرتبة الثالثة تظهر في مثل قوله:

يا ربّ، عيشةُ ذي الضلال خسار
أطلق أسيرك، فالحياة إسار

٤ ـ المرتبة الرابعة تتضح في مثل قوله

إنا ما رأيتم عصبة هجرية فمن رأيها للناس هجر المساجد
وللدهر سر مرقدُ كلَّ ساهر على غرة أو موقظُ كلَّ هاجد

٥ ـ المرتبة الخامسة تلك التي سميتها آنفاً بالقافية التامة الموسيقى ومثلها قوله:

إنا ما عراكم حادث فتحدثوا فإن حديث القوم ينسي المصانبا
وحيدوا عن الأشياء خيفة غيها فلم تجعل اللذات إلا نصانبا

٦ ـ وأخيراً تلك القافية النادرة حتى في لزوميات أبي العلاء مثل قوله:

راعتك دنياك من ريع الفؤاد وما راعتك في العيش من حسن المـــراعـــاة
كانما اليوم عبدُ طالبُ امةً من ليلة قد اجدا في المساعاة

تلك هي مراتب القافية في لزوميات أبي العلاء، وهي كما رأينا، تتراوح بين ثلاثة أصوات وثمانية أصوات.

(موسيقى الشعر ٢٧٢ .
٢٧٦).

إذن فإن القوافي في (لزوم ما لا يلزم) ليست من مرتبة موسيقية واحدة، وإنما هي ست مراتب.

الخلاصة:

١ ـ لقد ظلم الأدباء القدماء أبا العلاء حين قصروا الحديث على سيرته وإلحاده وتركوا الحديث عن شاعريته إلا قولهم المكرور "حسن الشعر" وربما أضاف البديعي وابن العديم شيئاً إلى هذه الكلمة.

٢ ـ وظلم الأدباء المحدثون أبا العلاء لأن أكثرهم سار مسيرة الأدباء القدماء في الحديث عن سيرته وأفكاره.

٣ ـ والذين تحدثوا عن شاعريته من الأدباء المعاصرين تفرقوا فريقين:

١ ـ فريق هاجمه

٢ ـ وفريق ناصره:

وعلى رأس الفريق المهاجم:

أ ـ أستاذنا الدكتور شوقي ضيف في كتابه "الفن ومذاهبه في الشعر العربي حين رمى ديوان أبي العلاء "لزوم ما لا يلزم" بالخلل والضعف والإسفاف (انظر تلخيص الكتاب).

ب ـ الدكتور طه حسين الذي كنا نظن بعض الوقت أنه كان من أشد أنصاره، فإذا هو يرمي المعري بالعبث واللهو في شعره ويجعل هذا الشعر نتيجة الفراغ (انظر تلخيص كتابيه)

ولكننا لا ننكر أنه أنصفه ودافع عنه في مواضع من كتابيه.

٢ ـ أما الفريق الذي ناصرأبا العلاء وأنصف شاعريته فقد مثله في الدرجة الأولى أديبان كبيران:

أ ـ أولهما أستاذنا محمد سليم الجندي في كتابه الراقي (الجامع في أخبار أبي العلاء) ويقع في ٣ مجلدات، فلم يكد يترك زاوية من حياة أبي العلاء وشعره إلا أحاط بها (انظر تلخيص الكتاب).

ب ـ الشاعر الكبير الأستاذ معروف الرصافي في كتابه (على باب سجن أبي العلاء) وهو يرد فيه على آراء طه حسين في شعر أبي العلاء، رد الشاعر الذواقة وتبدو في كتابه حماسته وحبه الكبير للمعري (انظر تلخيص الكتاب).

كلمة أخيرة:

أرجو أن أكون في هذا البحث عن شاعرية المعري قد أنصفته من أصدقائه وخصومه على حد سواء، وأرجو أن أجد من يتابع هذا البحث ويزيده دقة وإيضاحاً.

وصفوة هذا البحث

كان أبو العلاء شاعراً في الدرجة الأولى وحكيماً في الدرجة الثانية ونحن نجد في ديوانيه (سقط الزند) و (لزوم ما لا يلزم) شعراً راقياً وحكمة بالغة، وأحسن الأدب ما التقى فيه الشعر والفكر أطيب لقاء.

خاتمة المطاف:

ورب سائل يسأل في غضب:

- ومن هذا الملوحي الذي يصحح للدكتور طه حسين - عميد الأدب العربي حكمه؟ وللدكتور شوقي ضيف - أستاذ الجيل - رأيه، وأنا أقول لهذا السائل الغاضب ثلاث كلمات:

أولاها: أني لست من يرد ويُصحح، وإنما هو أبو العلاء المعري نفسه في ديوانيه (سقط الزند) و (لزوم ما لا يلزم) وقد لمستَ في الشواهد الدامغة التي وردت في هذين الديوانين أنها هي التي تتولى الرد والتصحيح نيابة عن المعري.

وثانيهما: أن من اشترك في الرد والتصحيح استاذان جليلان: أحدهما الأستاذ محمد سليم الجندي في كتابه الجامع (الجامع في أخبار أبي العلاء) وثانيهما الشاعر الأستاذ معروف الرصافي في كتابه الرائع (على باب سجن أبي العلاء).

ولست في هذا البحث كله إلا معتمداً على شعر المعري، ومردداً آراء الجندي وأحكام الرصافي وحسبك بهؤلاء الثلاثة: مظلوماً يدافع عن حقه، وحاكماً عدلاً يقضي لابن بلده، وشاعراً يستصرخه أبو العلاء فيلبيه وينكر ما قاسى شاعر مثله من ظلم وعنت.

وثالثها : أن الحق لا يقاس بشهرة الرجال، وإنما يقاس بما هو حق مثله، وما كان أوعى ذلك الصبي الذي رأى الشعب ينظر في ذهول إلى الملك ولباسه

العجيب فصاح: ولكن الملك عريان، وعندئذ أدرك الشعب أنه خدع وأن الملك حقاً عريان.

ثم إني إذا أردت زيادة في معرفتي أيها السائل الغاضب:

ـ فأنا أيضاً رهين المحبسين: البيت والشلل.

فهل رضيت؟

الفهرس

المقدمة ٥

القسم الاول: أبو العلاء مؤمن مسلم ٩

١ ـ الايمان في ديوان سقط الزند ١٢

٢ ـ الإيمان في ديوان لزوم مالا يلزم ١٣

ا ـ صفات الله تعالى ١٥

ب ـ أين تتجلى قدرة الله ١٥

٣ ـ دعوة المعري الى عبادة الله ١٧

٤ ـ هل طبق المعري وصاياه للمسلمين في سلوكه؟ ١٨

٥ ـ المعري يمدح دين الاسلام ويذم الذين يشوهونه وينكر أصحاب النحل ويهجو المرتدين ٢٠

الشواهد ٢١

١ ـ صفات الله تعالى في اللزوميات ٢٢

٢ ـ قدرة الله تعالى في اللزوميات ٢٨

٣ ـ الدعوة الى الإيمان بالله وعبادته في اللزوميات . ٣٢

٤ ـ إيمان المعري وسلوكه في اللزوميات وماذا طبق من وصاياه للمسلمين ٤٠
٥ ـ المعري يمدح الاسلام ويذم الملحدين ويهجو المرتدين عن الاسلام ٤٥
٦ ـ شواهد متنوعة من اللزوميات. ٤٨
خاتمة القسم الاول. **٥٠**

القسم الثاني: شاعرية أبي العلاء **٥٣**
تمهيد **٥٤**
١ ـ الدراسة **٥٧**
شعر المعري في كتب القدماء الخاصة به ٥٧
شعر المعري في كتب التراجم ٦٣
شعر المعري في الكتب الادبية العامة ٧٢
شعر المعري في كتب المعاصرين الخاصة به ٨٦
الميمني ـ طه حسين ـ العقاد ـ تيمور ـ الجندي ـ الرصافي ـ الكيالي ـ المحاسني ـ وزارة المعارف المصرية ـ الصارم .
شعر المعري في بعض الكتب الادبية العامة ١١٨
شوقي ضيف في كتابه:(الفن ومذاهبه في الشعر العربي)
شعر المعري في بعض كتب التراجم ١٢٣
الفاخوري ـ الحمصي ـ الهنداوي .
٢ ـ شاعرية أبي العلاء **١٢٨**
ماهو الشعر ١٢٩

في كتاب موسيقى الشعر ـ المعجم الأدبي ـ معجم مصطلحات الأدب ـ معجم لاروس الكبير.
تطبيق مقاييس الشعر الواردة فيها على المعري: ١٣٤
العاطفة ـ الرؤيا ـ الصور ـ الأفكار النبيلة وتجسيده لها في حيان|اته الخاصة وحياته العامة ـ محاولة فهم العالمين المنظور وغير المنظور ـ شمولية شعره لما في الحياة من عوالم ـ أسلوبه في شعره .
الخلاصة ١٧٠
كلمة أخيرة ١٧١
خاتمة المطاف ١٧٢

١٢٠
٩٥

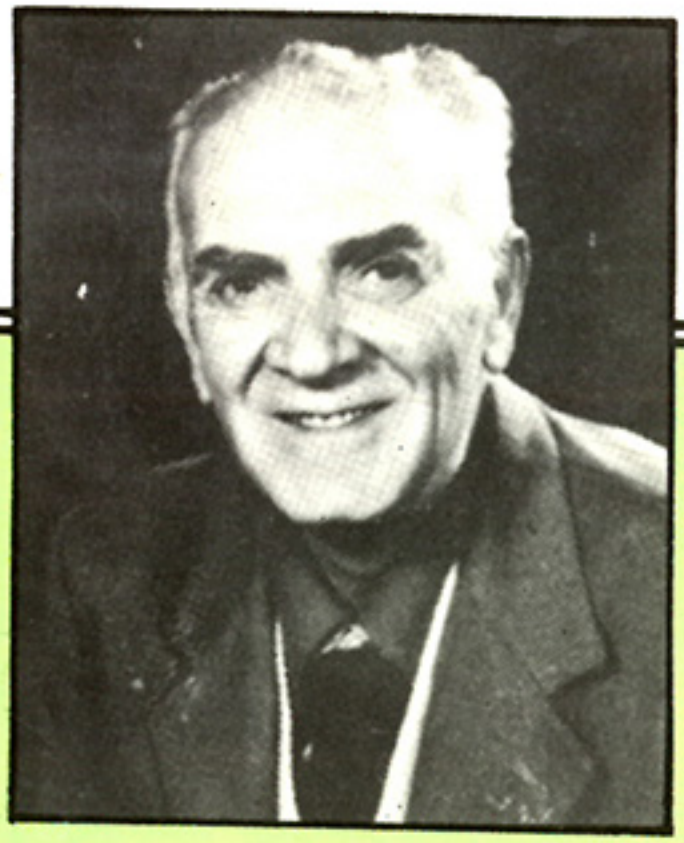

- عَبد المعين المَلوحي.
- وُلِد في حُمص ١٩١٧.
- عَمل في وزارة التربية و وزارة الثقافة ثم مُستشاراً في القصر الجمهوري.
- أصدر حتى الآن ٦٧ عملاً في التراث العربي، والشعر والبحث والترجمة والأدب الذاتي.
- له عدد كبير من المخطوطات تنتظر النشر.
- عُضو في مجمع اللّغة العربيّة بدمشق.